دراسات
فى
تاريخ الدولة العباسية

تأليف
دكتور حسين الباشا

١٩٩٠

الناشر
دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة

مطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعى
١٩٩٠



دراسات
فى
تاريخ الدولة العباسية

تأليف
دكتور حسن الباشا

١٩٩٠

دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٩٠


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قيام الدولة العباسية

انتهت الدولة الأموية فى سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) بالقضاء على مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية (١٢٧ — ١٣٢ هـ) . ولم يكن مروان بن محمد هو المسئول الوحيد عن هذه النهاية ، وربما لم يكن أهم المسئولين: إذ كانت الأمور قد أخذت فى التدهور من قبل تولى مروان الخلافة . ولقد كان مروان حاكماً قديرا وعلى درجة كبيرة من النشاط ، ولاقى كثيرا من الشدائد صمد لها بصبر استحق معه أن يلقب بالحمار وذلك نسبة إلى المثل : « أصبر من حمار » و « حمار الحرب لا يهرب » ، ولو أنه من المحتمل أنه أطلق لقب « الحمار » على مروان لأن سنة الحمار صادفت حكمه ، وسنة الحمار هى السنة التى تتم مائة عام من بداية حكم بنى أمية : إذ جرى العرف على أن يسمى العام المائة من بداية حدث مهم بعام الحمار[1] .

وقبل نهاية الدولة الأموية حدثت أمور كان لها أثرها الخطير فى الإسراع بنهاية الدولة : منها ثورة الشيعة[2] ثم حروب الشام .

وأخيراً ثورات الخوارج : إذ حاولوا فى العراق الاستيلاء على الكوفة وواسط ، ونجحوا فعلا فى ذلك ، غير أن الأمويين استطاعوا أخيراً أن يهزموهم . وكانت هذه الثورات بزعامة الضحاك بن قيس الشيبانى وقد قتله الأمويون[3] .

---

(١) عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

(٢) دكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى — الجزء الثانى — ص ٣

(٣) المرجع نفسه ص ٤ .

كما قام الخوارج أيضاً فى الحجاز وحضرموت بمحاولات انتهت بالفشل، وبقتل زعيمهم أبى حمزة الخارجى[١] .

وبالرغم من القضاء على هذه الثورات فقد كان لها نتائج سلبية خطيرة : أولاها أنها أرهقت مالية الدولة الأموية التى كانت فى حالة سيئة عند تولى مروان بن محمد الخلافة .

ومن جهة أخرى أدى فشل هذه الطوائف وعنف الأمويين فى القضاء عليها إلى إفساح الطريق أمام طائفة أخرى هى طائفة العباسيين .

من هم العباسيون ؟

لم يكن لبنى العباس فى أول الأمر مطمع فى الخلافة ، وقد قيل أن أباسفيان جاء العباس عم النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد بيعة أبى بكر وقال له : « ابسط يدك أبايعك » . فأبى العباس[٢] .

غير أنه قرب نهاية العصر الأموى ظهر عباسيون يطالبون بالخلافة ، ويعملون على الحصول عليها ، وكانوا يعرفون باسم « الهاشمية » .

وكان من المعتقد أنهم سموا بالهاشمية نسبة إلى هاشم بن عبد مناف جد الأسرة النبوية (محمد صلى الله عليه وسلم وعلى والعباس) غير أن الصحيح هو أن الهاشمية سميت بذلك نسبة إلى أبى هاشم بن « محمد بن الحنفية » ابن على بن أبى طالب زعيم الشيعة الكيسانية ، وقد قام المختار الثقفى بثورة يدعو له بالخلافة .

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه ص ١١ .

وقد دعى لأبى هاشم هذا بعد ما قيل عن غياب أبيه محمد بن الحنفية إذ نقلت طائفته الدعوة إلى أبى هاشم الذى دأب على انمائها وتنظيمها حتى صار للدعوة طقوسها وأسرارها وكثر أنصارها الذين كان معظمهم من الموالى .

ومن الملاحظ أنه إلى جانب الهاشمية أو الكيسانية وجدت دعوة شيعية أخرى هى الفاطمية نسبة إلى السيدة فاطمة وأئمتها هم الحسن والحسين وعلى زين العابدين وأبناؤه .

وفى حين كانت الشيعة الفاطمية أكثر محافظة ومراعاة للتقاليد وأكثر اعتماداً على العرب ، كانت الشيعة الحنفية أكثر مغالاة وأبعد عن المحافظة وأكثر انتشاراً بين الموالى .

ومات أبو هاشم فى سنة ٩٨ﻫ (٧١٦م) . ويزعم البعض أن سليمان ابن عبد الملك دس له السم وهو فى طريقه إلى الحميمة ، وهى قرية صغيرة فى أرض الشراة بين الشام والحجاز كان يقيم فيها محمد بن على بن عبد الله ابن العباس . وحينما شعر أبو هاشم بدنو أجله قصد محمد بن على وفوض إليه قيادة الدعوة وأفضى إليه بأسرارها ، وأدلى إليه بأسماء دعاته فى الكوفة وغيرها — وهذا التفويض معترف به فى المذهب الشيعى — وقد مكنه ذلك من السيطرة على دعوة منظمة لها دعاتها وأنصارها .

وهذا وقد أشار ابن خلدون عرضاً إلى أبى هاشم ولكن المصادر الشيعية تتكلم عنه بصراحة ووضوح وتحديد . وقد توصل فان فلوتن Van Vloten إلى هذه الآراء قبل اكتشاف المصادر الشيعية[1]

وقد كان المركز الرئيس للهاشمية فى خراسان .

---

(١) فان فلوتن : السيادة العربية (ترجمة حسن إبراهيم حسن) .

حالة بني أمية في خراسان :

كان في خراسان عرب انتقلوا إليها من العراق واستوطنوا فيها[1] ، وكان هؤلاء العرب من حيث العدد قلة بين الفرس الذين كانوا يعتزون بأصلهم وأمجادهم القديمة ، ويضيقون بوضعهم في درجة أقل من العرب .

وكان من مظاهر هذا الشعور قيام الحارث بن سريج بثورة ضد الأمويين في بلاد ماوراء النهر متزعماً المرجئة وأخذ يحارب الحكم الأموي بحجة الاشتراكية في جميع الضرائب ومنادياً بنصرة المظلومين وإنقاذ المضطهدين . واستطاع فعلاً أن يستولي على شواطئ نهر سيحون غير أنه لم يلبث أن تخلى عنها أمام ضغط الجيوش الأموية ، فانسحب إلى بلاد ماوراء النهر في سنة ١١٨ هـ .

وفي سنة ١٢٠ هـ (٧٣٨م) قدم نصر بن سيار إلى خراسان كوال من قبل الأمويين ، ونجح في أول الأمر في السيطرة على الأمور ، وظل هذا النجاح حتى موت هشام سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) .

ولكن لم يلبث أن احتدم الصراع بين عرب الشمال وعرب الجنوب أو بين قبائل مضر وقبائل اليمن . والواقع أن هذا الصراع بين العرب في إيران كان صدى للصراع القبلي في العراق الذي اشتد بصفة خاصة بعد قتل خالد ابن عبد الله القسري في عهد هشام ، وثورة ابنه يزيد بن خالد القسري الذي تزعم اليمنيين .

وأدى الصراع القبلي في إيران إلى انفصال عرب الشمال عن عرب الجنوب وبالتالي إلى تدهور قوة العرب بعامة في إيران .

---

(١) الدكتور فيليب حتي : تاريخ العرب (مطول) الجزء الأول صفحة ٣٥٠ .

وكان من نتيجة ذلك أن تراجع نصر بن سيار إلى نيسابور وكان نصر يعتبر من عرب الشمال الذين كان الخليفة الأموى متهماً بمالاتهم.

فى هذا الوقت ظهر أبو مسلم الخراسانى فى سنة ١٢٩ ﻫ (٧٤٦م) يدعو علانية إلى الرضا من آل محمد.

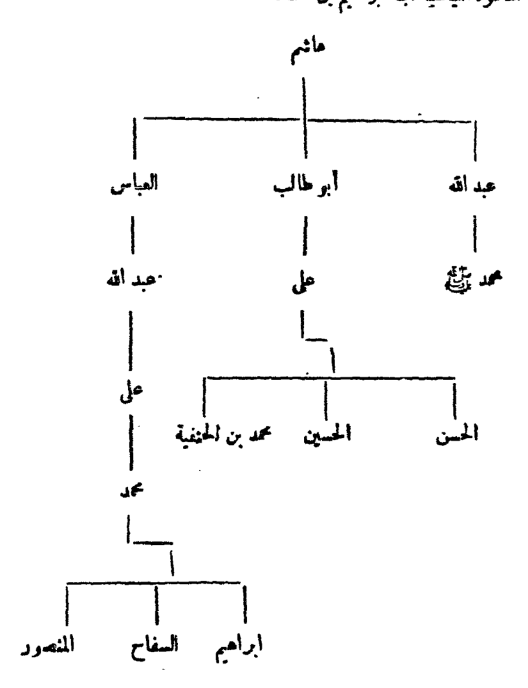
غير أنه سبق قيام أبى مسلم تمهيد استغرق عدداً من السنين.

تطور الدعوة العباسية فى خراسان :

يبدو أنه فى سنة ١٠٠ بدأت محاولات منظمة للقيام بحركة شيعية فى خراسان بقيادة «خداش» الذى كان يعمل فى أول الأمر مع الشيعة ثم بدأ محاولاته العلنية، غير أن محاولاته لم يكتب لها النجاح. وكان من جراء ذلك أن منيت الدعوة الهاشمية فى خراسان بالضعف وفقدان بعض الأتباع.

وبدأت فى أعقاب هذه الفترة أسند محمد بن على بن عبد الله بن العباس زعيم الدعوة العباسية الإشراف على الدعوة فى خراسان إلى سليمان بن كثير وهو عربى من خزاعة، وكان من أبرز الشخصيات فى الدعوة. وجعل معه مجلساً يتألف من اثنى عشر نقيباً: ثمانية منهم من العرب، وأربعة من الموالى. غير أن سليمان بن كثير لم يستطع أن يحقق كثيراً من النجاح.

وفى سنة ١٢٥ هـ توفى محمد بن على بن عبدالله بن العباس وخلفه فى زعامة الدعوة العباسية ابنه ابراهيم بن محمد .



وفى سنة ١٢٧ هـ توفى بكير بن ماهان كبير الدعاة بالكوفة فعين ابراهيم ابن محمد مكانه صهراً له أى لبكير اسمه حفص بن سليمان ويكنى بأبى سلمة الخلال .

وفى تلك الأثناء برز بين الدعاة أبو مسلم الخراسانى وكان مولى فارسياً لبكير بن ماهان وكان قد اشتراه من عيسى بن معقل العجلى وقربه إليه ولقنه تعاليم الشيعة وقيل أنه كان من نسل المختار وكانَ شديد التشيع للهاشميين (وزعم البعض أنه كان عربياً استناداً على كنيته) .

واتصل أبو مسلم الخراسانى بمحمد بن على بن عبد الله بن العباس فى سنة ١٢٥ هـ ثم بابنه ابراهيم بن محمد .

وحاز أبو مسلم القبول عندابراهيم الإمام الذى أعجب بتفانيه فى الدعوة وكفاءته فوجهه إلى خراسان ليتولى قيادة الدعوة فيها منتهزاً ما كان يحدث فى خراسان فى ذلك الوقت من شقاق بين العرب . وكانت مهمة أبى مسلم أن ينشر الدعوة بين الموالى من الفرس وينظم صفوفهم ثم يعلن دعوته متى أنس فى نفسه القدرة على ذلك .

وحل أبو مسلم بخراسان سنة ١٢٨ هـ ، وأخذ ينشر دعوته مستعيناً بالدهاقين من الصابئة والبوذيين ، واستطاع أن يستميل إليه طبقات التجار والصناع ، وبذلك كثر أنصاره . وخشى سليمان بن كثير من ازدياد نفوذ أبى مسلم وأراد التخلص منه بمعاونة أعوانه من العرب غير أن هؤلاء كانوا أضعف من أن يتصدوا لأبى مسلم .

واستمرت حركة أبى مسلم فى النجاح مما شجعه على أن يجمع أنصاره من الموالى وغلاة العرب ثم يعلن الثورة على الأمويين فى رمضان سنة ١٢٩ هـ رافعاً الأعلام السوداء (١) .

(١) فان فلوتن : السيادة العربية ص ١٢٤ — ١٢٦ .

مايغزى هذه الأعلام السوداء ؟

يرى البعض أن أبا مسلم حين رفع الأعلام السوداء كان يرفع شعار العباسيين ، ويرى آخرون أن أبا مسلم رفع الأعلام السوداء علامة على الحزن على الحسين .

ولكن فان فلوتن Van Vloten يذكر تفسيراً آخر لرفع أبي مسلم للأعلام السوداء : إذ يرى أن الأعلام السوداء كانت تتخذ كرمز للإنقاذ أو الخلاص في الحركات الثورية في الشرق الأوسط وكان لها المغزى نفسه في التقاليد اليهودية والنصرانية وعند الصابئة : ذلك أنها كانت ترمز إلى قدوم المنقذ أو المخلص ، وقد استخدمها أيضاً بعض الثائرين في العصر الأموي لاستمالة الناس بفضل هذا المغزى ، كما استعملها أيضاً الشيعة ، ومن ثم فإنه من المعتقد أن أبا مسلم الخراساني قد رفع هو أيضاً الأعلام السوداء بنفس المغزى ، وروايته في كتب الأدعية والأشعار بقرب الإنقاذ والخلاص (١) .

ومهما يكن من أمر فإن السواد صار شعار العباسيين ، وربما كان ذلك تأسياً بالنبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان له عمامة سوداء وكان له لواء أسود وراية سوداء يقال لها العقاب (٢) .

انتصار أبي مسلم :

انتهز أبو مسلم فرصة الشقاق بين العرب في صفوف نصر بن سيار والي الأمويين فعمل على اتساع شقته عن طريق إيقاع الفتن بينهم وتأليب بعضهم على بعض وإثارة الأحقاد القديمة ، واستمال إليه اليمنية وكان قد انضم إليهم سليمان بن كثير كما كانوا في عداء مع نصر بن سيار ، ثم حابى عرب ربيعة

(١) المرجع نفسه .

(٢) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد — الجزء الأول — صفحة ٢٣ و ٢٤ و ٢٥

ضد مضر . وبفضل سياسته صارت له اليد العليا على الجميع واستطاع أن يستولى على نواحى خراسان ولم يبق أمامه غير مرو حيث يقيم نصر بن سيار . ودفع أبو مسلم اليمنية بقيادة على بن الكرمانى إلى مرو فاشتبكوا مع جيش نصر وأثناء القتال دخلت جيوش أبى مسلم مرو واستولت عليها وهرب نصر بن سيار ثم قتل أثناء فراره (١) .

ووجه أبو مسلم أحد قواده : قحطبة بن شبيب إلى الرى فاستولت جيوشه عليها وعلى بلاد الجبل وهمذان ونهاوند وشهرزور والموصل ، وتوغلت فى بلاد العراق ، وهزمت ابن هبيرة أمير العراق من قبل مروان بن محمد ، واستولت على الكوفة فى المحرم سنة ١٣٢ هـ .

وتوفى قحطبة قبل دخول الكوفة فخلفه ابنه الحسن فى قيادة الجيش ليسلم الأمر لأبى سلمة الخلال حسب توصية أبيه التى جاء فيها : « وإذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمد أبو سلمة الخلال فسلموا الأمر إليه » .

حدث ذلك كله ولم يكن بنو أمية يعرفون شخصية من يدعو إليه أبو مسلم ، ولكنه يقال أنه حدث أن وقع فى يد مروان بن محمد كتاب كان مرسلا إلى أبى مسلم من ابراهيم الإمام ، وكان يقيم بالحميمة فأمر مروان بالقبض على ابراهيم وسجنه ، وظل ابراهيم فى الحبس بحران إلى أن مات ، وانتقل أهل بيته إلى الكوفة ودخلوها فى صفر سنة ١٣٢ هـ ، وأنزلهم أبو سلمة الخلال فى إحدى دورها . ويقال أنه كتم أمرهم عن سائر القواد مدة أربعين ليلة . كما يقال أنه أراد أن يحول الخلافة إلى أحد العلويين غير أنه باء بالفشل .

---

(١) دكتور حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ص ١٨

قتل مروان بن محمد وسقوط الدولة الأموية :

بعد أن بويع أبو العباس بالخلافة فى الكوفة فى ربيع الأول سنة ١٣٢ﻫ وجه عمه عبد الله بن على للقضاء على مروان ، فانتصر عبد الله فى موقعة الزاب الأعلى أحد روافد نهر دجلة ، وهرب مروان وعبد الله بن على فى أعقابه حتى دخل مصر . وهنا كلف أبو العباس صالح بن على بتعقب مروان . ودخل مروان الفسطاط ثم خرج منها إلى بوصير حيث لحقت به جند صالح ابن على . وقتل مروان فى بوصير فى ذى الحجة سنة ١٣٢ ﻫ . وبقتله قضى على دولة بنى أمية وقامت دولة بنى العباس .

بماذا يفسر قيام العباسيين والقضاء على الأمويين ؟

هناك عدة تأويلات لهذا الحدث يختلف بعضها عن بعض من حيث الأساس الذى تعتمد عليه أو النظرية التى تقوم عليها .

التفسير القومى أو الجنسى :

أحد هذه التفاسير تفسير يعتمد على أساس قومى أو جنسى وصاحبه جوبينو De Gobineau وكان سفيراً لفرنسا فى إيران . ويرى جوبينو أن هذا الحدث يمثل صراعاً بين الجنس الارى فى إيران وبين الجنس السامى فى بلاد العرب ، وأن انتصار العباسيين يمثل انتصار الفرس . ومن الملاحظ أن جوبينو يفسر أيضاً قيام حركة الشيعة تفسيراً مماثلا .

ويرفض الكثيرون تفسير جوبينو . حقاً إنه من الممكن أن نتبين فى قيام الدولة العباسية ميلا نحو الفرس وشعوراً بالعداء نحو العرب . وربما يتضح هذا العداء فيما ينسب إلى ابراهيم الإمام من وصية يقال أنه أوصى بها ابا مسلم حين وجهه إلى خراسان حيث جاء فيها : « ... وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ... »

كما يقال إنه مما دفع الفرس إلى الانضمام إلى أبى مسلم هو تذمرهم من تعالى العرب عليهم .

ولكن من الواضح أن الحركة العباسية لم تقم لإعلاء الفرس على العرب أو لوضع السلطة فى يد أسرة فارسية : ذلك أن بنى العباس كانوا عرباً مثلهم مثل بنى أمية ، بل أنه يقال أن سببُ تفضيل أبى العباس بالخلافة على أخيه أبى جعفر هو أن أم أبى العباس كانت عربية .

وبالإضافة إلى ذلك فإن دعاة العباسيين كان كثير منهم من العرب كما أن جيوشهم لم تكن مقصورة على الفرس ، بل كان قوادهم من العرب . ومن جهة أخرى كان كثير من الفرس فى جانب الأمويين .

وإذا كان انتصار العباسيين قد أدى إلى ازدياد الاعتماد على الفرس فإن ذلك لم يقلل من مركز العرب ، وظلت سيادة العنصر العربى معترفا بها فى المجتمع العباسى ، وظل العرب يشتركون فى جيوش الدولة العباسية ، ويصرف لهم عطاؤهم لمدة تسعين سنة تقريباً بعد قيام الدولة العباسية ، ولم يختف نفوذهم إلا بعد اعتماد العباسيين على عنصر جديد هو العنصر التركى الذى حل محل كل من الفرس والعرب .

هذا وقد ظلت الدولة العباسية محافظة على اللغة العربيـــة وعلى الثقافة العربية .

أما من حيث تفسير حركة الشيعة أيضاً على أساس قوى أو جنسى فإنه مرفوض أيضاً حيث أنه من المسلم به أن العنصر العربى كان له دور كبير فى قيام حركة الشيعة كذلك .

التفسير الطبقي :

هناك تفسير ثان لقيام الدولة العباسية يعتمد على أساس طبقي : إذ يعتقد أصحاب هذا التفسير ان هذا الحدث يمثل صراعاً بين الطبقات وأنه يمثل انتصار طبقات التجار والصناع ، ويزعمون أن الدعوة العباسية كانت حركة نشأت بين هذه الطبقات ، ويستدلون على ذلك بأن التجار تمتعوا برخاء كبير في الدولة العباسية كما شاع في الدولة العباسية الإشادة بالتجارة أي تمجيد الطبقة الوسطى .

وهذا التفسير مرفوض من أساسه ذلك أنه إذا كانت الدعوة العباسية وجدت تأييداً بين طبقات التجار والصناع في خراسان فإنها حظيت أيضاً بمساعدة الدهاقين ورجال الحرب كما أنه لم يرد في أي مصدر من المصادر أن جيش أبي مسلم كان يتألف من الصناع والتجار . ومن جهة أخرى فإن تمتع بعض كبار التجار في الدولة العباسية بثروات طائلة لم يكن نتيجة لتشجيع الدولة لطبقة على طبقة وإنما جاء ذلك ضمن الرخاء العام الذي ساد الدولة العباسية في عهد الرشيد بما في ذلك ازدهار التجارة .

التفسير الحضاري :

بالإضافة إلى هذين التفسيرين يذكر توينبي Toynbee في كتابه دراسة التاريخ تأويلا ثالثاً يعتمد على أساس حضاري : ذلك أن هذا المؤرخ المعاصر المشهور يعتقد أن مافعله أبو مسلم كان عبارة عن تحطيم لما قام به الإسكندر الأكبر : ذلك أنه من المعروف أن الإسكندر الأكبر كان يحاول أن يوحد بين الفرس في إيران وبين النصف الغربي من مملكة الإسكندر الذي تمثلت فيه الحضـــارة السريانية ، ثم جاء العرب فأعادوا توحيد الحضارة السريانية التي كانت تفرقت أشتاتاً . وجاء الأمويون فورثوا الحضارة الإغريقية ولكنهم فشلوا في أن يوفقوا

الحاجز الذى كان موجوداً بين الشرق والغرب أى بين إيران وسوريا . ومن ثم فإن الثورة العباسية تعنى نهاية سيطرة الحضارة الهلينستية وانتصار الحضارة الإيرانية . ومما يؤيد ذلك أن الخلفاء العباسيين قلدوا الملوك الساسانيين ، كما أنهم نقلوا العاصمة من دمشق إلى بغداد بجوار المدائن عاصمة الساسانيين القديمة ، كما أن أنظمة الدولة العباسية تأثرت كثيراً بالتقاليد الإيرانية القديمة .

غير أن بكر Becker يرى أن الحضارة الإسلامية هى الوليد الثالث للحضارة الكلاسيكية : إذ يرى أن الحضارة الكلاسيكية تفرع منها ثلاث حضارات : هى الحضارة النصرانية الغربية والحضارة النصرانية الشرقية والحضارة الإسلامية . ويرى أن العالم الإسلامى ليس عالماً شرقياً مثل الصين ، ولكنه أكثر اتصالا بالغرب . ومع ذلك فهناك اختلافات مهمة بين موقف هذه الحضارات من الحضارة الكلاسيكية ذلك أن موقف الغرب كان عبارة عن بعث لها فى حين كانت الحضارة الإسلامية استمراراً لحضارة الهلينية . كما أن الشرق الإسلامى هو الذى حافظ على علوم اليونان وليس الغرب المسيحى .

ومع ذلك فإن اعتبار الحضارة الإسلامية استمراراً للحضارة الكلاسيكية أو الحضارة الساسانية يتضمن افتئاتاً على أصالة الحضارة الإسلامية : إذ الواقع أن الحضارة الإسلامية وليدة الدين الإسلامى الذى بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم والذى أوحى إليه به فى داخل الجزيرة العربية .

كما أنه من الملاحظ أن معرفة العرب المسلمين بالحضارة الكلاسيكية جاءت فى عصر متأخر .

ومن جهة أخرى فإنه يتمثل فى أنه صلة بين الإسكندر الأكبر وبين

أبي مسلم الخراساني الذى قام بالثورة العباسية وقاد الهجوم على الدولة الأموية ما يجعل من المستبعد إيجاد صلة بين أعمالهما .

التفسير القبلي :

وأخيراً هناك تأويل يقوم على العصبية القبلية : إذ ربما كان صراع العباسيين ضد الأمويين بعثاً للتنافس الذى وجد قبل الإسلام بين بنى عبد شمس وبين بنى هاشم والذى أخفاه وكان قد حد منه دخول الجميع فى الإسلام .

الفصل الأول

العصر العباسي الأول

عاشت الدولة العباسية أكثر من خمسة قرون (١٣٢ – ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ – ١٢٥٨ م) ولذلك كان من الطبيعي أن ينتابها بين وقت وآخر من الأحداث والظروف ما يؤدي إلى تغير أحوالها واختلاف أنظمتها . هذا وقد تعرضت الدولة العباسية لبعض الأحداث المهمة التي كان من جرائها وضوح مظاهر سياسية واجتماعية معينة في فترات مختلفة مما دفع المؤرخين إلى تقسيم زمنها إلى عدة عصور لكل منها خصائصه المتميزة . ومن هذه الأحداث استفحال نفوذ الأتراك منذ عهد المعتصم ، وظهور بني بويه ، وسيطرة السلاجقة . ومن ثم اصطلح بعض المؤرخين على تقسيم الخلافة العباسية إلى أربعة عصور لكل منها خصائصه السياسية والاجتماعية المتميزة: هي العصر الأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع .

غير أنه من الملاحظ أن الظواهر الحضارية لا يمكن تحديدها بتاريخ معين : ذلك أنها لا تنشأ فجأة أو تنتهي فجأة ، وإنما تظهر تدريجياً وينمو بعضها من بعض .

ويعتبر العصر العباسي الأول بمثابة العصر الذهبي للخلافة العباسية : ذلك أنه في ذلك العصر كان الخلفاء العباسيون يتمتعون بسلطان مطلق .

وقد ولي الخلافة في هذا العصر تسعة خلفاء هم :

خلفاء العصر العباسى الأول

١ — أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد :

١٣ ربيع الأول ١٣٢ (٧٥٠ م)

٢ — أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد :

١٣ ذى الحجة ١٣٦ (٧٥٤ م)

٣ — أبو عبد الله محمد المهدى بن المنصور :

٦ ذى الحجة ١٥٨ (٧٧٥ م)

٤ — أبو محمد موسى الهادى بن المهدى :

٢٢ المحرم ١٦٩ (٧٨٥ م)

٥ — أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدى :

١٦ ربيع الأول ١٧٠ (٨٧٦ م)

٦ — أبو موسى محمد الأمين بن الرشيد :

٣ جمادى الآخرة ١٩٣ (٨٠٩م)

٧ — أبو جعفر عبد الله المأمون بن الرشيد :

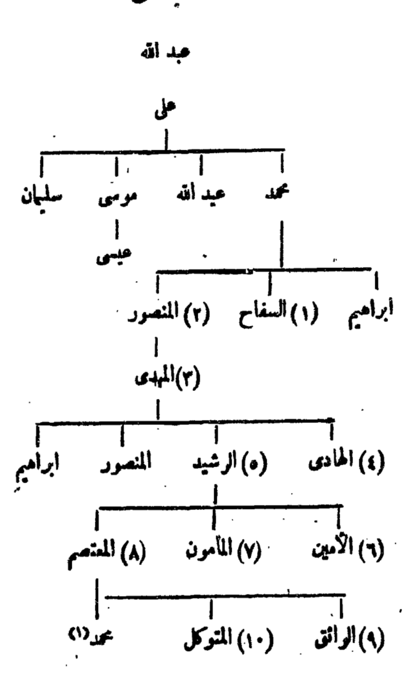
٢٦ المحرم ١٩٨ (٨١٣ م)

٨ — أبو إسحق محمد المعتصم بالله بن الرشيد :

١٦ رجب ٢١٨ (٨٣٣ م)

٩ — أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم :

١٨ ربيع الأول ٢٢٧ (٨٤٢ م) — ٢٣ ذى الحجة ٢٣٢ (٨٤٧ م)



(١) Lane-Poole (S.). The Mohammadan Dynasties, pp. 12-14.

وبعد معركة الزاب فى ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ واندحار جيوش مروان ثم قتله فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ تمت البيعة لأبى العباس فى النصف الغربى من الدولة الإسلامية .

وتحول أبو العباس إلى الأنبار غربى الفرات وبنى إلى جوارها قصراً فخماً اتخذه دار ملكه ، وسميت هذه المدينة بالهاشمية ، وكان من الطبيعى أن يتخذ العباسيون عاصمتهم بعيداً عن الشام حيث كان الموالون لبنى أمية ، وأن تكون هذه العاصمة الجديدة أقرب إلى الشرق حيث نمت الدعوة العباسية ووجد أنصارها .

وكان من سياسة أبى العباس إغداق العطاء وكثرة الإنفاق(١) فى سبيل تأليف القلوب .

غير أن أبا العباس لم ينعم بالسلام أو الهدوء : إذ قضى مدة خلافته فى محاولة تأمين حكمه فتتبع فلول بنى أمية وتنكل بأعوانهم ، ولم يفلت من بنى أمية إلا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذى فر إلى الأندلس وأسس فيها دولة جديدة للأمويين .

وأخذ أبو العباس يتخلص من أعوان الدعوة العباسية الذين خشى طموحهم أو غدرهم فقتل أبا سلمة الخلال ، كما قتل ابن هبيرة أحد قواد مروان بن محمد بعد أن أمنه ، ثم هم بقتل أبى مسلم .

وجوبه أبو العباس بثورات مختلفة : ففى سوريا قامت ثورة زعما تزعمها العرب اليمنية بقيادة السفيانى ، وفى العراق قامت ثورات لم يكن لها علاقة مباشرة بالأمويين ، كما ظهرت حركات تنزع إلى الاستقلال فى جهات بعيدة مثل عمان .

---

(١) السيوطى : المرجع السابق صفحة ٢٥٨ — ٢٥٩ .

هذا وفيما يلى فكرة عامة عن خلفاء ذلك العصر وسياستهم فى تأسيس الخلافة العباسية .

أبو العباس السفاح (١٣٢ — ١٣٦ هـ) :

من الملاحظ أن جيوش أبى مسلم الخراسانى استولت على الكوفة فى شهر المحرم سنة ١٣٢ هـ ، ولم يبايع أبو العباس بالخلافة إلا فى ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ أى أنه مضى حوالى ثلاثة شهور بين الاستيلاء على الكوفة وبين مبايعة أبى العباس بالخلافة . ويعزى هذا التأخير إلى أبى سلمة الذى يقال أنه أراد أن يولى الخلافة لأحد العلويين . ويعلل البعض هذا التأخير بأن الخراسانية أثاروا بعض مشاكل حول اختيار الخليفة الجديد : إذ أنهم لم يكونوا متحمسين لمبايعة أبى العباس .

ومهما يكن من أمر فقد أعلنت مبايعة أبى العباس بالخلافة فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ بالكوفة ، كما أخذت له البيعة فى خراسان ووسط إيران .

وخطب أبو العباس فى أهل الكوفة خطبته المشهورة التى قال فيها : « ... يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ... فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير »[1] .

ومن هنا نعت أبو العباس بالسفاح[2] ومعناها الكثير العطاء أو الكثير القتل . ويتضح من سياق الكلام أنه عنى بها كثير العطاء حيث جاءت بعد قوله : « وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم » .

---

(١) السيوطى : المرجع السابق — صفحة ٢٥٧ .

(٢) الدكتور حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار — ص ٦٠ والحاشية .

وبعد وفاة أبي العباس استمرت الثورات والفتن في عهد أخيه أبي جعفر المنصور .

أبو جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨ هـ) :

أعان المنصور أخاه أبا العباس السفاح أثناء خلافته في تثبيت الخلافة العباسية سواء من حيث الاشتراك في القضاء على الأعداء والمناوئين، أو في إدارة أمور الدولة : إذ كان والياً على الجزيرة وأذربيجان وارمينية .

ومكث المنصور في الخلافة نحو عشرين عاماً مما هيأ له فرصة أكبر لإقرار الحكم وتثبيت السلطة لبني العباس ، ومن ثم يمكن اعتباره المؤسس الفعلي للأسرة العباسية . وقد أنشأ المنصور في سنة ١٤٤— ١٤٧ هـ مدينة بغداد التي اتخذها عاصمة للخلافة العباسية .

وقد عرف عن المنصور أنه كان جاداً لا يحب الهزل ، وصلباً لا يلين أمام الشدائد ، كما كان — على عكس أخيه السفاح — حريصاً على المال يحاسب عماله بدقة وحرص حتى أنه نعت بأبي الدوانيق (الدانق ⅙ درهم) وذلك لتشدده في المحاسبة[1] . وكان من جراء هذا الحرص أن عمر بيت المال حتى أنه يقال أنه خلف عند وفاته ٩٠٠ ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار .

ويتضح من إحدى خطبه تصوره للخلافة بأنها سلطان الله في أرضه وبأن الخليفة مؤيد من الله : « لا تسروا غشاً للأئمة فإنه من غش إمامه أظهر الله سريرته ... »[2] .

(١) المرجع نفسه — صفحة ٢٥٩ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب — جـ ٢ — ص ٢٣٦ .

وكان المنصور هو أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب .

وفى عهده فتحت طبرستان فى سنة ١٤١ هـ وغزيت قبرص فى سنة ١٤٦ هـ . وفى عهده بدأت العناية بالترجمة عن اليونانية ، ومما ترجم فى ذلك الوقت كتاب إقليدس وكتاب كليلة ودمنة عن الفارسية .

والمنصور هو أول خليفة يعنى بالتنجيم إذ قرب إليه المنجمين وقد أشار إلى ذلك أحد الشعراء عند موته : ـ

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك وأمر الله لابد واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم ... لك اليوم من ريب المنية دافع[1]

هذا وقد استمرت الثورات والفتن فى عهد المنصور : فما أن تولى المنصور الخلافة حتى ثار ضده عمه عبد الله بن على الذى كان يطمع فى الخلافة ، وانضم إلى عبد الله بن على كثير من العرب الساخطين على أبى جعفر ، واستعان الخليفة بأبى مسلم وجنده من الخراسانية فقدموا إلى العراق ، وقضى أبو مسلم على الفتنة فى جمادى الآخرة سنة ١٣٧ هـ . وفر عبد الله بن على ثم قبض عليه ، ومات فى الحبس سنة ١٤٧ هـ .

وفى سنة ١٣٨ هـ استطاع عبد الرحمن الأموى أن يستقل بحكم الأندلس عن الخلافة كما سبق أن قدمنا وبذلك بدأ أول انقسام خطير فى الدولة الإسلامية ، ومن الملاحظ أن أم عبد الرحمن الداخل كانت بربرية مثلها مثل أم أبى جعفر المنصور .

كما حدث فى عهده شقاق آخر ولكن هذا الشقاق كان فى الأسرة الهاشمية : وتمثل هذا الشقاق بين بنى العباس وبنى على إذ كان من جراء

(١) الدكتور إبراهيم حسن : المرجع السابق ـ الجزء الثانى ـ صفحة ٣٩ .

تعسف المنصور مع العلويين وتصورهم أن العباسيين خدعوهم واغتصبوا منهم الخلافة أن خرج محمد بن عبد الله بن الحسن فى المدينة فى رجب سنة ١٤٥ هـ مدعياً الخلافة كما ظهر أخوه إبراهيم بالبصرة مؤيداً له . غير أن المنصور وجه إليهما ابن عمه عيسى بن موسى فقضى على محمد فى رمضان سنة ١٤٥ هـ وعلى ابراهيم فى ذى القعدة من السنة نفسها .

وظهرت مشاكل أخرى أمام المنصور كان أسوؤها فى خراسان حيث كانت الحركات المناوئة تجد عادة مؤيدين لها . وجاءت أولى هذه المشاكل من العرب المتشيعين فى خراسان ، واستطاع المنصور أن يقضى على هذه الحركة على يد أبى مسلم وكان فى ذلك انتقاص من مركز العرب .

ولم يكد المنصور يستريح من المناوئين حتى وجه همه نحو الأعوان المنافسين : إذ كان العباسيون يرغبون فى إقرار الأمور والحد من روح الثورة ، ومن ثم كان من الضرورى أن يتخلصوا من بعض أنصارهم المتشبعين بروح الثورة وقد تخلصوا فعلا من أبى سلمة بواسطة أبى مسلم وابن كثير ، وتخلصوا من ابن كثير على يد أبى مسلم ، ثم قتلوا أبا مسلم نفسه .

وهكذا اختار العباسيون طريق السنة ، وفعلا امتاز عهد أبى جعفر المنصور بالإقبال على تدوين الحديث والفقه والتفسير وبداية ظهور المذاهب الفقهية على طريق السنة إذ نجد أبا حنيفة يؤسس مذهبه كما نجد مالكا فى المدينة يصنف الموطأ[١].

وحاولت الراوندية أن تقاوم هذا الاتجاه بخاصة وعقائد الإسلام بعامة فادعوا أن روح الإله انتقلت إلى الخليفة العباسى ولكن المنصور قضى عليهم[٢].

---

(١) السيوطى : المرجع السابق صفحة ٣٦١ .

(٢) انظر دراسات Nöldeke .

ولم يمض وقت طويل حتى ظهر لأبى مسلم أتباع اعتبروه شهيداً ونظروا إليه كتجسيد لروح القدس وقاموا بثورة باسمه وقد عرف هؤلاء باسم المبيضة . وكانت حركتهم فى أول أمرها محلية ، وكانت ما تكاد تختفى حتى تظهر من جديد . ثم انتشرت هذه الحركة وبقيت مدة طويلة . وظهرت هذه الحركة مرة بقيادة ثائر يدعى حسن ، ومرة ظهرت بقيادة ثائر يدعى رفيع ، وكان ذلك فى عهد هارون الرشيد ، وقد اشترك فيها كثير من أهالى إيران .

هذا وقد تصدى المهدى للمبيضة فى حياة المنصور ، واتخذ لقب المهدى أثناء حروبه ضدهم فى خراسان ثم صار حاكما لها .

وهكذا كان عهد المنصور مليئاً بالقلاقل والثورات التى قام بها طوائف من الأمويين والهاشميين والشيعة بالإضافة إلى الخوارج : كما حدثت ثورات محلية فى جهات مختلفة مثل مصر وسوريا وإيران .

ولقد كانت أخطر الثورات التى جابهت المنصور وغيره من العباسيين فى القرن الأول من الحكم العباسى تظهر فى إيران . واستطاع العباسيون أن يضمنوا طاعة الإيرانيين عن طريق تقريبهم للبرامكة إذ حصلوا بذلك على تأييد الارستقراطية الفارسية .

هذا وقد كان المنصور قد حول ولاية عهده فى سنة ١٤٧ إلى ابنه محمد المهدى بدلا من ابن عمه عيسى بن موسى الذى كان قد أوصى له أبو العباس بالخلافة بعد أبى جعفر(١). وقد أدى ذلك إلى بعض المشاكل بعد وفاة المنصور إذ امتنع بعض الهاشمية بعض الوقت عن مبايعة المهدى .

---

(١) دكتور حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ـ ص ٣٠

محمد المهدى (١٥٨ — ١٦٩هـ) وموسى الهادى (١٦٩ — ١٧٠هـ) :

حدث فى عهدهما تطوران جديدان :

أولها ازدياد الاعتماد على العناصر الفارسية والموالى كما اشتد التأثر بالتقاليد الفارسية فى المجتمع والإدارة والنظم .

وثانيهما ازدياد التأكيد على الدين والتقوى واتباع السنة .

وقد أعاد المهدى تنظيم الحج ، وعنى بطرقه فأمر ببناء القصور فى طريق مكة وأمر باتخاذ المصانع أو حيضان المياه فى كل منهل كما عنى بتجديد الأميال أو علامات الطرق (ومن الملاحظ أن العباسيين عجزوا كثيراً عن السيطرة على بدو الجزيرة العربية) .

وعمر المهدى المسجد الحرام[1] والمسجد النبوى[2].

ووقف المهدى ضد الزنادقة أو المانويين الحقيقيين وكانوا يجدون أحياناً مؤازرة من بعض العرب القدامى فى العراق .

وكان الزنادقة عقبة فى سبيل الوحدة ، وقد تعرضوا لمذابح جماعية فى حلب أولا ، وزاد اضطهادهم والقضاء عليهم على يد الهادى[3].

هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣هـ) :

ازداد رخاء العراق فى عهد الرشيد وقد امتاز العراق بهدوء نسبى فى عهد

(١) الدكتور حسن الباشا : عمارة المسجد الحرام بمكة فى العصر العباسى . منبر الإسلام - يناير ١٩٦٩ ص ١٧٧ — ١٨٦ .

(٢) الدكتور حسن الباشا : الحرم النبوى الشريف فى عهد المهدى . منبر الإسلام - يوليه ١٩٦٨ ص ١٩٣ — ١٩٦ .

(٣) دكتور حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - ص ٤٢ ، ٤٥ .

العباسيين على عكس حاله زمن الأمويين حين كان مركز العواصف السياسية . وكان هذا الهدوء أحد عوامل رخائه .

وهناك عامل آخر له أهميته وهو وجود العاصمة به ، وقد ساعد موقع بغداد نفسه على ازدهارها : إذ تقع بغداد بين إيران والعراق وهى قريبة من بابل واصطخر ، كما أنها تقع فى أرض السواد الخصيبة ، وتمر بها الطرق التجارية الرئيسية ، ومن السهل الوصول إليها عن طريق الأنهار وساحل البحر ، كما أنها محمية من الصحراء . وموقعها مناسب للإشراف على الولايات الشرقية .

ومع ذلك كان لموقع بغداد مساوئه : فمن جهة يبعد موقعها عن الولايات فى أقصى الغرب مثل أسبانيا وغرب أفريقية وكذلك جزر البحر الأبيض المتوسط ، والقوى البحرية فيه ، هذا وقد أدى تأسيسها ونقل العاصمة إليها بدلا من دمشق إلى إضعاف الشام وإطماع الصليبيين فيه .

وازدهرت التجارة فى عهد الرشيد وذلك بفضل إصلاحاته الكثيرة فى هذا المجال : إذ عنى بإصلاح الطرق ، وعمر القصور والبرك ولا سيما بطريق مكة .

وقد حاول وصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر ، جاء فى مروج الذهب المسعودى أن الرشيد أراد أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم مما يلى الفرما فقال له يحيى بن خالد البرمكى : كان يختطف الروم الناس من المسجد الحرام وتدخل مراكبهم إلى الحجاز فتركه[1].

وشجع البرامكة نمو التجارة الذى بلغ أوجه فى القرن الثالث والرابع بعد الهجرة .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء — ص ١٨٩ ، ٢٨٦ .

وإلى جانب التجارة عنى الرشيد بالزراعة وساعده فى ذلك البرامكة . واتخذت عدة وسائل لتعمير العراق وإصلاح أرضه . وفى عهده تحول الخراج إلى نوع من الضرائب وصار الفلاح يدفع ضريبة محددة . وسرعان ماقررت ضريبة الزراعة ، وكان الخراج يصله بانتظام من أنحاء دولته الواسعة ، يقال أنه كان يستلقى على ظهره وينظر إلى السحابة المارة ويقول: اذهبى حيث شئت يأتى خراجك[1].

وكان من نتيجة ذلك أن تحسنت مالية الدولة فى عهد الرشيد ، فمن المعروف أن المنصور استطاع بحزمه أن يسيطر على مالية الدولة غير أن المهدى كان مسرفاً ، أما هارون الرشيد فقد ترك فائضاً يقدر بنحو ٤٨ مليون دينار .

تنظيم الإدارة العباسية فى عهد الرشيد :

تطور التنظيم الإدارى للدولة تطورا ملحوظا فى عهد الرشيد. حقاً إنه يبدو أن نظام الإداره العباسية قد نما من الإدارة الأموية ، وقد أدخل المنصور بعض تنظيمات لتحقيق المركزية فى الإدارة . وكان من الأنظمة التى وضعها المنصور تحقيق خدمة مدنية مركزية منظمة تنظيما دقيقاً ، كما عنى بالرقابة عن طريق البريد والعملاء السريين .

ثم نمى المهدى هذه الأنظمة واستعان فى ذلك بيحيى البرمكى الذى عينه رئيساً لديوان الرسائل .

وارتقى أنظمة الإدارة العباسية فى عهد الرشيد بفضل توجيهات البرامكة الذين حاولوا الجمع بين العباسيين العرب وبين الأرستقراطية

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى — ج ٣ ص ٢٧٠

الفارسية رغم صعوبة ذلك كما أسسوا تنظيما بيروقراطياً يتميز بأرستقراطية الوظيفة المتحكمة . وأحسنوا توجيه الولاة المحليين وكانوا قدوة حسنة لهم بحسن سلوكهم ومهارتهم وأخلاقهم .

ومنذ عهد هارون يلاحظ ظهور الطبقة الوسطى فى المدن وازدهار الثقافة والحياة الاجتماعية والعامة .

السياسة الخارجية :

كانت سياسة الرشيد الخارجية من العوامل التى أدت إلى ازدهار التجارة بخاصة ورخاء الدولة بعامة ذلك أن الرشيد — على عكس الأمويين — عمل على تأسيس علاقات سلام وأمن مع الدول الأجنبية ، ومن الملاحظ أنه كان يتبادل السفارات والهدايا مع شارلمان الذى كان يصل إلى امبراطوريته التجار المسلمون القادمون من الدولة العباسية . كما عمل هرون على تقوية الثغور والعواصم لحماية الحدود . وفى عهده ثبتت حدود الدولة العباسية إلى حد ما فلم تكد تحدث محاولات جادة لتوسيع رقعة الدولة العباسية . ولو أن المناوشات على الحدود مع الدولة البيزنطية لم تنقطع ، وكثيراً ما اشترك هارون نفسه فى هذه الحملات التى كانت تسمى بالصوائف وقد أشير إلى ذلك فى بعض الأشعار :

فمن يطلب لقاءك أو يرده   فبالحرمين أو أقصى الثغـــور
ففى أرض العدو على طمـــر   وفى أرض الترفه فوق كور
وما حاز الثغور سواك خلق   من المتخلفين على الأمور

وكان البيزنطيون يقومون هم أيضاً بحملات مضادة ولكن الغلبة كانت فى صف العباسيين وأخيراً اضطرت بيزنطة إلى مهادنة الرشيد على جزية تدفعها للرشيد[1].

---

(١) دكتور حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق - ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

وبالاختصار كان عهد الرشيد يبدو عهد رخاء وتقدم وانتصار للدولة حتى أن السيوطي وصفه بقوله : « أيام الرشيد كانت كلها أيام خير كأنها في حسنها أعراس »[١].

عوامل التدهور في عهد الرشيد :

في عهد الرشيد بدأت مرحلة جديدة في الدولة العباسية ، واتضحت هذه البداية بنكبة البرامكة . ربما وصل عهد هرون الرشيد إلى قمة الازدهار والمجد بالنسبة للدولة العباسية ولكن في أثناء هذا العهد بذرت بذور التدهور والضعف ، فعلى الرغم من الرخاء الذي يبدو به عهد الرشيد والذي ازداد بريقه على مر السنين بفضل ألف ليلة وليلة فإنه يبدو أنه وجد في هذا العهد بذور الفرقة في الدولة العباسية التي تعتبر المشكلة الرئيسية التي قضت على العصر الذهبي للدولة العباسية .

لماذا حدث الانقسام في الدولة بعد هرون ؟ أليس هذا الانهيار ناتجا من وجود عنصر ضعف في عهد هرون نفسه ، وقد ضاعف من هذا العنصر نكبة البرامكة ؟

في أثناء عهد الرشيد ظهر الأدارسة في مراكش والأغالبة في تونس ووضح الاضمحلال في سوريا (والواقع أن سوريا أصبحت خامدة عقلياً وثقافياً) .

وحدث في العراق ثورات خوارج وكان أخطرها ثورة الوليد بن طريف الشاري الشيباني في نصيبين وأرمينية والجزيرة ، وقد هزمه وقتله يزيد بن مزيد الشيباني .

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ١٨٩

وفى إيران انتشرت الشيعة فى ولايات بحر قزوين وكان فى الإمكان السيطرة على كل هذه الانشقاقات بفضل ثبات خراسان .

خراسان بؤرة السخط :

غير أن سياسة هرون الرشيد أدت إلى إثارة الاضطرابات فى خراسان نفسها .

ففى سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م ولى الرشيد على بن عيسى بن ماهان على خراسان ضد نصيحة البرامكة وقد أساء هذا التصرف فيها وتبع ذلك انتشار السخط .

وفى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤ م قام الرشيد برحلة إلى الشرق أشبه بالرحلات التفتيشية غير أنه أبقى على واليه على بن عيسى بن ماهان . وكان هذا تصرفاً خاطئاً : إذ أدى إلى زيادة الاضطرابات فى الولايات الشرقية[1] .

والواقع أنه منذ سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦م نجد قيام ثورات فى ولايات بحر قزوين ليست من تدبير الأرستقراطية الفارسية ولكن كان لها جوانب اجتماعية إذ ربما كانت وريثة للمزدكية ومتصلة بالهاشمية . ويرجع بعض العلماء ازدياد السخط فى إيران عامة وخراسان خاصة إلى نكبة البرامكة .

البرامكة

من هم البرامكة :

البرامكة هم أسرة نشأت فى بلخ على الطريق التجارى الرئيسى وكانت تدين بالبوذية . ثم أسلم جد هذه الأسرة خالد البرمكى وصار أحد القواد فى جيش أبى مسلم وكان القائد الوحيد غير العربى فى ذلك الجيش .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك — جـ ١٠ — ص ١٠٠ — ١٠٨ .

ثم ولاه أبو العباس السفاح ديوان الخراج ويبدو أنه لم يتخذ لقب وزير .

أما يحيى وهو الشخصية البارزة فى الأسرة فقد سبقت الإشارة إلى أن المهدى عينه رئيساً لديوان الرسائل ثم عينه الرشيد وزيراً وخوله سلطات مطلقة ثم حل محله ابنه الفضل . ولم يكن الرشيد يميل إلى الفضل فأحل مكانه أخاه جعفر . ثم رجع يحيى فيما بعد إلى الوزارة وظل بها إلى سقوط الأسرة. ولعب البرامكة دوراً مهماً فى سياسة الدولة وتنظيمها فى عهد الرشيد سبقت الإشارة إليه . وفجأة نجد الرشيد ينكل بالبرامكة بطريقة مثيرة .

نكبة البرامكة وأثرها فى ازدياد السخط :

فى سنة ١٨٦ هـ وبعد عودة هرون الرشيد من الحج وبصحبته جعفر البرمكى حيث وثق ولايته العهد للأمين والمأمون فى الكعبة فوجىء الناس بقرارات الرشيد بخصوص القضاء على البرامكة إذ أمر بقتل جعفر واعتقال يحيى وابنه الفضل ومصادرة أملاكهم وتتبع أنصارهم وأشياعهم .

والأسباب المباشرة لهذا التحول وتلك النكبة غير معروفة على وجه التحقيق كما أن دوافعها الكامنة أو الأسباب غير المباشرة أو تفسيراتها موضع آراء مختلفة .

ومن أسباب هذه النكبة ما ذكر بخصوص العباسة بنت المهدى أخت الرشيد وما قيل عن علاقة جعفر بها وأن اكتشاف الرشيد لهذه العلاقة التى تعدت مظهر الزواج إلى زواج فعلى كان هو السبب المباشر للنكبة[1] حيث أن جعفر هو الذى أمر الرشيد بقتله دون أخيه وأبيه مع أنه كان أكثرهم قرباً إلى قلب الرشيد .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ـ ص ١٤

ومن أسبابها أيضاً ما قيل بشأن إفراج جعفر فى سنة ١٧٦ هـ عن يحيى ابن عبد الله بن الحسن العلوى الذى كان الرشيد قد كلف جعفر بسجنه فى بيته بعد أن أمكنه منه البرامكة وأمنه الرشيد . وزاد من ذلك ما ذكر من اتهام البرامكة بالتشيع(١) .

كما ورد أيضاً ذكر موالاة البرامكة لأحد أفراد البيت العباسى ضد الرشيد وهو عبد الملك بن صالح الذى رفض يحيى أن يوافق الرشيد على اتهامه بالخيانة ضده حتى بعد نكبته .

كما ذكر أيضاً اتهام البرامكة بميلهم إلى الزندقة وعبادة النار واتخذ دليلا على ذلك إيحاؤهم إلى الرشيد بأن يضع بالكعبة مجمرة دائمة الاتقاد(٢) .

كما أشير أيضاً إلى خوف زبيدة من أن يعمل البرامكة على عزل ابنها الأمين من ولاية العهد وإحلال المأمون محله نظراً إلى أن أمه فارسية من جلدتهم وأنها لذلك أثارت الرشيد على البرامكة ، ولو أنه لا يعرف تماماً موقف البرامكة من ولاية العهد ، وساعدها فى ذلك الفضل بن الربيع زعيم الحزب العربى فى بلاط الرشيد وكان يعمل فى خدمة الرشيد منذ سنة ١٧٤ هـ .

ومن ثم فسرت النكبة بأنها مظهر من مظاهر الصراع بين العرب والفرس فى العصر العباسى الأول .

كما وردت الإشارة إلى أن هـذه النكبة مظهر من مظاهر الصراع بين الخلافة والوزارة على السلطة فى العصر العباسى الأول حيث انتهت حياة كثير من الوزراء نهاية أليمة مثل أبى سلمة الخلال الذى لقبه أبو العباس بوزير

---

(١) الطبرى : المرجع السابق - جـ ١٠ - ص ٨٠ - ٨١

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق (طبعة القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م) - ص ٢٧٠

آل محمد والذى قتل على يد أبى مسلم ومثل يعقوب بن داود الذى استوزره المهدى ثم نكل به ومثل الفضل بن سهل الذى قتل بأمر المأمون .

هذا ويرى البعض أن تنكيل هرون الرشيد بالبرامكة جاء بسبب عقدة سيكلوجية عند الرشيد تولدت نتيجة ضعف شخصيته إزاء شخصية البرامكة بالإضافة إلى تكبره وعنجهيته[1] .

فن الملاحظ أن هرون كان الابن الأصغر وله أخ قاس متحكم هو الهادى (أراد أن يعزله من ولاية العهد ويولى ابنه مكانه) وأم مسيطرة هى الخيزران (وكان الرشيد ضعيفاً إزاء رغباتها حتى أنه قال الفضل بن الربيع بعد موتها طالما كنت أريد أن أحمل إليك بعض الأمر ولكن أمى كانت تمنعنى من ذلك) .

ومن جهة أخرى كان يحيى بن خالد البرمكى مربيه أى أنه كان يحس إزاءه بالصغر وهذا يؤدى إلى الرغبة فى الانتقام عند ضعاف الشخصية .

وكانت زبيدة عاملا من عوامل إثارة الرشيد على البرامكة وإبراز هذه العقدة .

كما كان للبرامكة منافسون فى قصر الخلافة على رأسهم الفضل بن الربيع الذى كان يتحين الفرص للإيقاع بالبرامكة بسبب الغيرة الشخصية من جهة وتحيزاً للعرب وانتصاراً لهم على الفرس من جهة أخرى .

وفى السنين الأولى كان فى إمكان البرامكة أن يدبروا أمورهم وأن يتحاشوا إثارة هذه العقدة بالمراوغة وعدم التظاهر ولكن ازدياد غناهم وسعة نفوذهم وبروز كفاءتهم وإقبال الناس عليهم أدى إلى إثارة العقدة

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ـ ص ١٤

النفسية عند هرون وإلى تحريك غيرته منهم مما أدى إلى تنكيله بهم ونكبتهم .

ومهما يكن من أسباب هذه النكبة أو من تفسيرها فإنه من الواضح أن هرون الرشيد لم يستطع أن يجد بديلا للبرامكة له نفس كفاءتهم ونفوذهم فلم يسد الفضل بن الربيع الفراغ الذى تركوه .

ثورة خراسان :

وكان من نتائج هذه النكبة قيام ثورة فى خراسان بدأت سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م واستمرت حتى سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م .

ثورة سمرقند وموت الرشيد :

ولم تلبث أن قامت ثورة فى سمرقنـــد بقيادة رافع بن ليث بن نصر ابن سيار . ورغبة فى القضاء عليها استبدل هرون الرشيد بعلى بن عيسى ابن ماهان القائد هرثمة بن أعين وكلفه بالقضاء على رافع . ولما عجز هرثمة خرج إليه الرشيد بنفسه ولكنه فى طريقه إلى خراسان حانت منيته بطوس فى سنة ١٩٣ هـ . ولم ينته أمر رافع إلا فى عهد المأمون حين أعلن ولاءه له بدون قتال . وبمجرد وفاة الرشيد بدأت أحداث جسام فى الدولة نتيجة تصرف الرشيد نفسه كانت لها نتائجها الخطيرة على الدولة نفسها ونعنى بها مشكلة الخلاف بين ولاة العهد .

الأمين وولاية العهد (١٩٣ — ١٩٨ هـ / ٨٠٩ — ٨١٣ م) :

تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الرشيد ودعى له على منابر بغداد وكان أول من دعى له بلقبه من الخلفاء العباسيين .

ولم يلبث بعد مبايعته بالخلافة فى بغداد أن بدأ الصراع حول الخلافة

وكان هذا الصراع نتيجة سوء سياسة الرشيد فى ولاية العهد . وكان الرشيد قد ولى العهد أولاده الثلاثة الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن وقسم البلاد بينهم .

ففى سنة ١٧٣ هـ ولى الرشيد ابنه محمد الأمين ولاية العهد[1] وكان أصغر سناً من المأمون ولكن أمه كانت عربية قرشية من البيت العباسى وهى زبيدة فى حين كانت أم المأمون أم ولد فارسية .

وفى سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) أضاف الرشيد إلى ابنه الأمين ولاية الشام والعراق .

وفى سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م) عين عبد الله المأمون ولياً للعهد بعد الأمين وولاه من حد همذان إلى آخر الشرق (... أى خراسان والرى) ويرجع البعض هذا التصرف الجديد إلى أسباب منها :

(١) تأنيب ضمير الرشيد حيث فضل الابن الأصغر على الأكبر .

(٢) كفاءة المأمون وعجز الأمين .

(٣) تحريض الحزب الفارسى وربما البرامكة .

ولم يلبث هرون بعد ذلك أن عين أيضاً ابنه القاسم ولياً ثالثاً للعهد ولقبه بالمؤتمن وأعطاه الجزيرة وأرمينيا والثغور والعواصم .

وفى سنة ١٨٦ هـ (٨٠٢ م) وثق الرشيد عهده فى الكعبة هادفاً من ذلك إلى تأكيد هذا العهد وإضفاء طابع دينى عليه وإلزام أبنائه به .

ولما كان الرشيد بطوس سنة ١٩٣ هـ يقال إنه جدد البيعة لابنه المأمون وألزم بها القواد الذين كانوا معه وضم إليه كل ما كان معه من الجند والسلاح والمال . ولما مات الرشيد بقى المأمون بالرى وساعدته هذه الظروف على أن يستقل تماماً عن الأمين .

---

(١) دكتور حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق — ص ١٧٦

غير أنه بعد وفاة هارون رجع الجيش إلى بغداد بأمر الفضل بن الربيع. وحرض الفضل بن الربيع الأمين على أن يولى عهده ابنه موسى بدلا من أخويه ، وغضب المأمون ومن ثم بدا أن الحرب بينهما وشيكة الوقوع .

وكما أثار الفضل بن الربيع الأمين نجد أن الفضل بن سهل عامل إثارة فى صفوف المأمون وكان هذا وشيك الإسلام ويقال إنه كان يأمل أن تكون مرو حاضرة الخلافة العظمى وتعود لخراسان عظمتها .

وإمعاناً فى عدم موافقة المأمون على طلب الأمين أعلن نفسه خليفة واتخذ لقب إمام وأخذ الأخوان يتراشقان التهم وفشلت المفاوضات بينهما. وحاول المأمون أن يستحوذ على خراسان ويحتويها وحاول أن يحيى الدعاية القديمة وربما كان ذلك من سياسة الفضل بن سهل .

وكان من المنتظر أن يبدأ الأمين بالهجوم الحربى وهذا ما حدث فعلا إذ أرسل الأمين فى سنة ١٩٥ هـ على بن عيسى ليهاجم خراسان ويقال إن هذا الهجوم كان نتيجة إقناع الفضل بن الربيع .

وكان جانب المأمون به الخراسانية (المشارقة) وكان فى جانب الأمين نسبة أعلى من العرب . وقد أعطت تصرفات الفضل بن سهل نغمة غير عربية لمحاولة المأمون .

ونظراً إلى أن الأمين كان يحكم فى ثروة بيت المال الذى تركها هارون الرشيد فإننا نجد فى بداية الأمر حدوث هجرات جماعية من جانب المأمون إلى الأمين .

وعجزت جيوش الأمين عن التقدم نحو خراسان وباءت بالفشل وتقدمت جيوش المأمون ، وأحرزت إنتصارات باهرة وتقدمت نحو بغداد

وانتهى الأمر بالاستيلاء عليها بعد مقاومة عنيفة ثم قتل الأمين وغضب المأمون لذلك .

ويرى البعض أنه لم يكن هناك فى هذه الحرب شعور قوى فى أى صف بالعروبة أو ضد العروبة .

ولكن الملاحظ أنه ظهر شعور وطنى قوى عند محاولة جيوش المأمون الاستيلاء على بغداد .

وكانت بغداد غير محصنة ومع ذلك فقد وجد المهاجمون مشقة كبيرة فى الاستيلاء عليها وجاءت المقاومة الأساسية من جانب السكان المدنيين ولا سيما الطبقات الدنيا التى كانت مستميتة فى المقاومة . ويقال إن سبب هذه الفدائية فى المقاومة هو كره أهل بغداد الخراسانية . ولكن من الملاحظ أنه كان يوجد خراسانية فى كلا الجانبين . ويقال أيضاً أن سببها هو المنافسة بين العرب والفرس ولكن من الملاحظ أنه كان يوجد عرب وفرس فى كل من الجانبين كما حدث لجوء متبادل من كلا العنصرين من جانب إلى جانب .

ومع ذلك فإنه يمكن ملاحظة هذه المقاومة المستميتة من قبل أهالى بغداد فى ضوء الارتباط بين المأمون وإيران الذى وصل إلى حد محاولة نقل العاصمة من العراق إلى إيران وهذا يمثل محاولة ثانية من قبل الأرستقراطية الفارسية لاستعادة نفوذها بعد سقوط البرامكة . وقد حاول المأمون تحقيق ذلك بالاستيلاء على العاصمة (بغداد) وبمحاولة تحويل طرق التجارة بعيداً عن بغداد .

ومن ثم فإن أهالى بغداد كانوا يحاربون ضد نقل مركز الثقل من العراق إلى إيران بل كانوا يدافعون عن حياة مدينتهم نفسها .

المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ)

سخط بغداد فى بداية عهد المأمون :

بعد أن قتل الأمين خلصت الخلافة للمأمون ولكنه ظل فى خراسان وعين الحسين بن سهل أخا الفضل بن سهل والياً على بغداد . ولم يحدث وفاق بين الحسن بن سهل وبين أهل بغداد فساءت الأمور واختلت الأوضاع فى المدينة ولم يأخذ الحسن أهل بغداد بالشدة . ثم زادت الأمور سوءاً فى بغداد بسبب ما جد من أحداث كان من أهمها ثورة أبى السرايا ثم تولية على الرضا ولاية العهد . .

ثورة أبى السرايا (سنة ١٩٩ هـ) :

انتهز العلويون اضطراب الأمور فقاموا بثورة بالكوفة تزعمها أحد كبار رجال هرثمة بن أعين (أحد قواد المأمون وكان له دور مهم فى فتح بغداد للمأمون) واسمه أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى وكان يدعو لأحد العلويين وهو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن بن على .

وكانت هــــذه الثورة ذات طابع عربى عراقى صميم على نمط ثورات الشيعة العربية فى العراق واشترك فيها عامة العلويين فى العراق ولكن أبا السرايا كان الشخصية الرئيسية فيها . وكللت الثورة بالنجاح فى أول الأمر واستطاع أبو السرايا أن يهزم جنود الحسن بن سهل عدة مرات ولكنها لم تلبث أن انهارت بعد أن أخرج أبو السرايا من الكوفة . وقد نعت الطبرى أبا السرايا بنقائص غير أنه من المتعذر التعرف على الحقيقة فى ذلك ولو أن البعض يرى أن أبا السرايا يمثل طبيعة الفروسية العربية بمزاياها المختلفة .

المأمون وعلى الرضا :

بعد إخماد ثورة أبى السرايا بدأت قصة على الرضا إذ نجد المأمون فى سنة ٢٠١ هـ يولى عهده وهو فى مرو أحد العلويين وهو على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهو الإمام الثامن من أئمة الشيعة الإثنى عشرية وطلب من الفضل بن سهل أن يأخذ البيعة له على الناس وأرسل الكتب إلى الولاة يأمرهم بإبطال لبس السواد ولبس الخضرة (شعار العلويين) وجعل الأعلام والقلانس خضراً وفى سنة ٢٠٢ هـ زوج المأمون على الرضا ابنته أم حبيب . والأرجح أن الفكرة كانت من عند المأمون نفسه وليست من عند الفضل بن سهل كما يقال (أى أن التشيع كان عربياً لا فارسياً) وربما برز فى هذا الإجراء جانب عاطفى غير أنه من الملاحظ أن له جوانب سياسية أيضاً وربما أهم من الجانب العاطفى لأن ذلك كان يؤدى فى نظر المأمون إلى توفير الهدوء لحكمه من جهة وإلى اكتساب الخراسانيين والعلويين من جهة أخرى (إذ يقال أن الفرس كانوا يرون أن العلويين أحق بالخلافة لأنهم أولاد الحسين بن على من ابنة يزدجرد الثالث الساسانى).

ويبدو أن المأمون وجد أن علياً الرضا هو أفضل شخصية بين العلويين تصلح لهذه المهمة وذلك من وجهة النظر السلبية .

ومن الملاحظ أنه لم يرد فى مبايعة على الرضا بولاية العهد الإشارة إلى أى حقوق له أو للعلويين .

وإذا كان هذا الإجراء قد أمن جانب العلويين والفرس أو الخراسانية فإنه أثار السخط بين بنى العباس ولا سيما المنصور وابراهيم ابنى المهدى وكذلك بين أهل بغداد من جهة أخرى إذ امتنع أهل بغداد عن البيعة لعلى الرضا وبايعوا فعلا إبراهيم بن المهدى بالخلافة فى سنة ٢٠٢ هـ ولقبوه

بالمبارك وبقى ابراهيم خليفة حتى رجع المأمون إلى بغداد فى سنة ٢٠٤ هـ (أى نحو سنتين) .

ويقال إن على الرضا هو الذى كشف للمأمون عن الحالة الحقيقية للأمور فى بغداد والعراق وأطلعه على سخط أفراد البيت العباسى وعملهم على التخلص من المأمون ومن على الرضا ومن الفضل بن سهل جميعاً وعلى اضطراب الأمور .

ويبدو أنه نتيجة ذلك غير المأمون سياسته فخرج إلى بغداد ويقال إنه أوصى بقتل الفضل بن سهل أثناء سيره ثم لم يلبث أن مات على الرضا بطوس ويكتنف وفاته الغموض إذ يظن البعض أنه دس له السم بتدبير من المأمون نفسه ويعتقد البعض الآخر أنه بتدبير من بعض أفراد بنى هاشم أو البيت العباسى .

وجاءت وفاة على الرضا فى الوقت المناسب . ولم يرشح المأمون بديلا له من العلويين وهدأت الأمور فى بغداد ودخلها المأمون ولم يلبث أن لبس السواد ، ورجع إلى الأعلام السوداء واقتدى به رجال دولته . واقتصر تشيع المأمون على مجرد عاطفة دينية أى تشيع معتدل بعيد عن أى مظهر سياسى .

وبرجوع المأمون إلى بغداد انتهت محاولة التحول إلى إيران التى وجدت فى بداية عهد المأمون .

المأمون والاعتزال والقول بخلق القرآن :

اتخذ المأمون الاعتزال كمذهب رسمى للدولة ربما مدفوعاً بنزعاته الفلسفية ، وتبعاً لما أشار به ابن أبى دؤاد وكان قاضياً للمأمون أصدر فى

سنة ٢١٢ هـ (٨٣٧ م) بياناً جهر فيه بعقيدة خلق القرآن وحاول إرغام جميع رجال الدولة والعلماء على الاعتراف بذلك . وفى سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) رأى أن يقتصر تعيين القضاة على المقرين بتلك العقيدة . وفيها أنشأ ديوان المحنة لامتحان من أنكر عقيدته . وهكذا انقلبت حركة الاعتزال التى قامت فى الأصل تنادى بحرية التفكير إلى حركة مقيدة للتفكير . واضطهد المأمون كثيرين لعدم موافقتهم على رأيه وكان أعظم هؤلاء قدراً وأكثرهم ثباتاً الإمام أحمد بن حنبل الذى نكل به تنكيلا شديداً .

واستمر الاضطهاد طوال حكم المأمون وحكم خلفيه المعتصم والواثق ثم انقلب المتوكل على هذه البدعة ورجع إلى العقيدة السلفية [١] .

ومن المحتمل أن الاعتزال كان محاولة من العباسيين لإيجاد مذهب بين السنة والشيعة يناصر العباسيين . وحينما فشل الاعتزال فى اجتذاب أى من السنة أو الشيعة رفضه العباسيون .

بداية تمزق الدولة العباسية :

تركت الحروب الأهلية بين الأمين والمأمون الدولة العباسية الواسعة الأرجاء فى حالة تنذر بتحول خطير نحو الانقسام والتمزق : إذ حدثت ثورات ملشقة فى سائر أنحاء الدولة .

وكانت من هذه الثورات ثورة أبى السرايا التى سبقت الإشارة إليها وذلك فى سنة ١٩٩ هـ .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ـ جـ ١١ ـ ص ١٩

وفى مكة دعا محمد الديباج لنفسه بالخلافة وتلقب بأمير المؤمنين ولكن تمكنت جيوش المأمون من هزيمته وأسره وعفا عنه المأمون .

وقامت ثورة فى يكسوم شمالى حلب بقيادة نصر بن شبث حمية العرب وذلك فى سنة ١٩٨ هـ وقد قضى عليه عبد الله بن طاهر بن الحسين فى سنة ٢١٠ هـ .

وخرج إبراهيم بن موسى بن جعفر باليمن وهدد طريق الحج .

وبسبب اختلال الأمن واضطراب الأمور باليمن نتيجة ميلها إلى التشيع ولى عليها المأمون محمد بن إبراهيم الزيادى (من ولد زياد بن أبى سفيان) وذلك فى سنة ٢٠٣ هـ . ففتح تهامة واختط مدينة زبيد سنة ٢٠٤ هـ (التى صارت حاضرة تهامة) . وقام العلويون بثورة فى اليمن فى سنة ٢٠٧هـ(٨٢٢م) قضى عليها محلياً .

واستقل زياد باليمن استقلالا فعلياً وإن ظل يخطب لبنى العباس ويحمل إليهم الخراج والهدايا وصار الملك فى أسرته ومواليها إلى سنة ٥٥٣ هـ وتعرف هذه الدولة بالدولة الزيادية وهى أول الدول استقلالا باليمن وهى تشبه دولة الأغالبة فى تونس من حيث الوضع السياسى . ثم نجد أعمال الزط فى طريق البصرة تبدأ سنة ٢٠٥ هـ . والزط معرب (جت) وهم من النور من هنود آسيا كانوا يسكنون شواطىء الخليج العربى ثم تجمعوا واستولوا على طريق البصرة منتهزين الفتنة بين الأمين والمأمون . وبعث إليهم المأمون بجنود فى سنة ٢٠٥ تفرقوا أمامهم ثم لم يلبثوا أن رجعوا إلى حالهم ويبدو أن خطتهم كانت التفرق أمام الحملات الموجهة ضدهم ثم العودة ولما اشتد الضغط عليهم طلبوا الأمان وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ٢١٩ هـ وخرجوا إلى عجيف قائد حملة المعتصم وكانت عدتهم ٢٧ ألفاً منهم ١٢ ألف

مقاتل لحملهم عجيف فى السفن ودخل بهم بغداد سنة ٢٢٠هـ ثم أرسلوا إلى خانقين ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة وجاء فى الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ٢٤١ أن الروم أغارت على عين زربة فأخذت من كان بها أسيرا من الزط مع نسائهم وذراريهم وذويهم وكان ذلك فى عهد المتوكل .

وقامت فى مصر ثورة بقيادة عبيد الله بن السرى أمير مصر وكذلك ثورة من جالية الأندلسيين بالاسكندرية فتوجه إليهم عبد الله بن طاهر من قبل المأمون . ثم قدم المأمون بنفسه إلى مصر فى سنة ٢١٦ هـ وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى يذهب فيها خليفة عباسى إلى مصر(١).

وأمر المأمون بقتل محاربين فى مصر بعد أن نزلوا على حكمه مع ضياع قوتهم واقتناعه بعذرهم وهم أهل البشرود بأسفل مصر كانوا ثاروا على عمالهم بسبب سوء سيرتهم فأرسل إليهم الأفشين فأوقع بهم حتى نزلوا على حكم المأمون والمذهب إليهم المأمون حكم بقتل رجالهم وبيع نسائهم وأطفالهم وكان ذلك فى صفر سنة ٢١٧ هـ ثم خرج المأمون من مصر إلى دمشق فى نفس العام .

ومن المعتقد أن ثورة المصريين وقسوة المأمون فى القضاء عليها أدت إلى إضعاف روح الانفصال عند العرب فى مصر وأدت إلى اندماجهم مع المصريين فى قومية واحدة وهيأتهم للاستقلال حين سنحت الفرصة . وجاءت الفرصة فى عهد الطولونيين ثم فى عهد الأخشيديين وأخيرا صارت مصر مركز خلافة فاطمية .

وفى أذربيجان نجد ثورة بابك الذى قام بحركة الخرمية فى سنة ٢٠١

(١) المقريزى : الخطط ـ جـ ٢ ص ١٩٢

والتى لم يقض عليها إلا فى سنة ٢٢١ هـ فى عهد المعتصم . وإزاء هذه الحركة اضطر المأمون أن يولى على خراسان طاهر بن الحسين وكان من أكفأ قادة المأمون . واستطاع طاهر أن يعيد خراسان إلى الطاعة فى سنة ٢٠٥ هـ وصار فيها الشخصية الرئيسية[1] . وبعد سنتين أسقط اسم المأمون من الخطبة ثم عين ابنه طلحة ولياً لعهده وهكذا صارت أسرته أول أسرة مستقلة فى الدولة العباسية وأصبح قدوة لغيره وكانت هـــذه هى الخطوة الأولى نحو انقسام الدولة العباسية والتمزق فى كيان الدولة العباسية نفسه وظلت هذه الأسرة الطاهرية تحكم خراسان حتى سنة ٢٥٩ هـ . وتبعها دول أخرى استقلت نذكر منها الدولة الصفارية والدولة السامانية والدولة الغزنوية .

وكانت العلاقة بين الولاة المستقلين والخلافة العباسية ذات طابع خاص فلم يكن هؤلاء مستقلين تمام الاستقلال إذ أنهم كانوا يحرصون على الحصول على إقرار الخليفة العباسى لحكمهم . ومع ذلك فهناك بعض الولاة من الشيعة رفضوا ذلك (ولم يكن بنو بويه من بين هؤلاء) .

وبعد هذا العهد بقرون نجد السلطان بيبرس فى مصر يحرص على أن يجعل أحد العباسيين خليفة فى مصر وعلى أن يمنحه هذا الخليفة حق السلطنة .

الحركة الثقافية فى عهد المأمون وأثرها :

اهتم المأمون اهتماماً كبيراً بالناحية الثقافية ومن ثم فإن عصره يعتبر العصر الذهبى للثقافة . ومن أهم مظاهر اهتمام المأمون بالثقافة عنايته بالترجمة ففى عهده إزدهرت حركة الترجمة إلى العربية عن الثقافات الأخرى ولا سيما اليونانية . حقاً لقد حدثت ترجمات متفرقة قبل عهد المأمون ولكن فى عهد المأمون نجد الترجمة تسير حسب خطة . إذ تظهر طبقة المترجمين وتوجه

---

(١) الطبرى : المرجع السابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٢٥٨

البعثات للبحث عن المخطوطات الأجنبية ولا سيما اليونانية وتعقد اتفاقيات فى سبيل الحصول على هذه المخطوطات[١] .

ويعتقد البعض أن حركة الترجمة التى ازدهرت فى عهد المأمون وضعت أساس العلم والفلسفة الإسلامية وكانت سبباً غير مباشر لكثير من الحركات الدينية .

وقد تمت النهضة العلمية الإسلامية على مراحل : وتتمثل المرحلة الأولى فى الترجمة إلى العربية وبخاصة عن اليونانية ثم تلتها ترجمة مع شروح ثم شروح مستقلة مؤسسة على النص ثم دراسات مستقلة تماماً .

وفيما بعد تفوق المسلمون فى هذه المجالات حتى أن دراساتهم كانت نبراساً لأوروبا ومهدت السبيل للنهضة الأوروبية .

وبما أن الترجمة كانت أساساً ترجمة عن اليونانية فقد صار العالم الإسلامى فى رأى بعض المستشرقين وريثاً آخر للهلينية (بعد الرومان والبيزنطيين والفرس البارثيين والسانيين ثم أوربا الحديثة) وقد أخذ المسلمون عن الهلينية الفلسفة والعلم وعلى عكس الغرب لم يهتم المسلمون بالأدب اليونانى .

على أن هذه الحركة لم تكن تحظى دائماً بالرضى عند المسلمين فمثلا لم تهتم الدراسات السنية بالفلسفة اهتمام بعض المذاهب الأخرى .

هذا وقد وجد فى العالم الإسلامى نتيجة لحركة الترجمة عن اليونانية إتجاهات دينية متناقضة بعضها إيجابى وبعضها سلبى :

(١) والميل الإيجابى محاولة التوفيق بين العقيدة الإسلامية والأفكار الفلسفية وقد حاول بعض علماء السنة الاعتماد على الدراسات الفلسفية فى سبيل إقرار مبادئهم .

---

(١) ابن النديم : الفهرست — ص ٣٣٩

ومن هؤلاء الأشعرى : أبو الحسن على الأشعرى البغدادى المتوفى سنة ٩٣٥/٩٣٦ م . وقد استطاع أن يقضى على الاعتزال ويعتبر من مؤسسى علم الكلام فى الإسلام . وبعده أخذت نزعة التوفيق بين تعاليم الدين والفكر اليونانى تصبح أهم مطالب التفكير الإسلامى . وإلى الأشعرى ينسب أيضا استنباط مبدأ « بلا كيف » الذى يقضى بإطاعة أوامر الدين والتزامها بلا ممانعة . ومن الملاحظ أن حركة إنشاء المدارس فى العصر السلجوقى كان الهدف منها نشر المذهب الأشعرى .

وبعد الأشعرى نجد الغزالى : أبو حامد الغزالى (ولد١٠٥٨-١١١١) ويرجع إليه الفضل فى تثبيت المذهب الأشعرى واعتباره عقيدة إسلامية شاملة . وبفضل مصنفاته وأهمها إحياء علوم الدين ، وفاتحة العلوم ، والاقتصاد فى الاعتقاد أدخل شيء من الفلسفة والتصوف فى المذهب السنى .

ثم لدينا الماتريدية (نسبة إلى ماتريد فى شمال شرق إيران) وعرفوا بمحاولتهم التوفيق بين حرية الإرادة والقضاء والقدر .

غير أنه أهمل بعد ذلك محاولات التوفيق بين العقيدة الإسلامية والفلسفة .

أما الميل السلبى فكان الميل إلى التصوف . والتصوف هو إسلام الجماهير وهو معرفة الله عن طريق الزهد والبعد عن التفكير . وكان العلماء ينظرون بشك إلى التصوف إذ أنهم اتهموا المتصوفين أو أرباب الطرق بإغفال الملاحظة والتفكير المنطق . وقد عرفت اللفظة فى القرن ٣ هـ (٩ م)[1] ولو أن التصوف عرف قبل ذلك كأسلوب من الزهد ، وقد ظهرت الطرق الصوفية المنظمة فى القرن/١٣م . وحدثت حركة كبيرة للدروشة

Hitti. History of the Arabs. pp. 433-4. (1)

فى العصر التركى . ولفظة درويش مستعارة من الفارسية ومعناها فى الأصل شيخ أو طارق الأبواب أى المستجدى .

ولتنقية العقيدة الإسلامية من آثار الفلسفة من جهة ومن بدع التصوف والدروشة من جهة أخرى قام ابن تيمية بثورة دينية فى سبيل تأييد العقيدة المنزلة . واقتدى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذى نهض لإقرار عقائد الإسلام المنزلة ومحاربة البدع وإقرار التوحيد الخالص .

المعتصم والواثق والمتوكل

يمكن وضع هؤلاء الخلفاء الثلاثة فى مجموعة واحدة وقد جعل ابن خلدون فى تاريخه عهدهم ممثلا لنهاية نفوذ العرب .

المعتصم : ٢١٨ — ٢٢٧هـ/٨٣٣ — ٨٤٢م .

موقفه من الترك والعرب :

أسقط المعتصم جيوش العرب من الدواوين وهكذا أخرجهم من الجيش وكان ذلك لحساب الترك[1] . ولم يمر هذا الإجراء دون معارضة بل نجد أن العباس بن المأمون يدبر مؤامرة ضد المعتصم والترك ولكنها تفشل .

ويقال أن المعتصم هو أول من إعتمد على الترك بشكل جدى . وهو أول خليفة أدخلهم فى الديوان ، وكان يمتلك قبل توليه الخلافة حوالى ٣٠٠٠ مملوك تركى وصار لديه ٤٠٠٠ مملوك تركى قبل انتقاله إلى سامرا ثم بلغت غلمانه من الأتراك بضعة عشر ألفا . ومن المحتمل أنه وصل

(1) Muir, The Caliphate, p. 514.

عدد الأتراك أكثر من ٧٠٫٠٠٠ وقد جاء معظمهم من وسط آسيا . وتتفق المصادر فى أنه كان أول من مكنهم من السيطرة فى الدولة . وصار يعتمد عليهم فى الأعمال الحربية[1] .

وكان من بين هؤلاء الأتراك قواد مشاهير نذكر منهم الأفشين (وكان يعرف عنه الزندقة) ومات فى عصر المعتصم ، وإيتاخ وكانت السلطة كلها فى قبضته فى عهد الواثق وقتل فى عهد المتوكل ، وأشناس وتوفى سنة ٢٣٠ هـ . ومنهم أيضاً وصيف وبغا الكبير (أبو موسى)[2] .

وكان لهم دورهم فى حروب المعتصم ضد الروم وفتح عمورية وذلك بعد أن هاجم توفيل بن ميخائيل زبطرة .

وبسبب الترك ومنعاً للاحتكاك بينهم وبين أهالى بغداد تحول المعتصم فى سنة ٢٢١ هـ من بغداد إلى سر من رأى أو سامرا أو العسكر .

ويستشف من بعض المصادر أن السر فى إكثار المعتصم من الترك هو أن أمه كانت تركية من جهة وانه اعتمد عليهم فى تولى الخلافة من جهة أخرى .

غير أنه كانت هناك أسباب أساسية فى لجوء المعتصم ومن بعده من الخلفاء إلى الترك . وتكمن هذه الأسباب فى التمييز بين العرب والفرس : ذلك أن سياسة العباسيين الأولى كانت تقوم على الموازنة بين عنصرى الفرس والعرب اللذين كان يتكون منهما الجيش العباسى بصفة أساسية ، وقد بدأ هذه السياسة الخليفة المنصور ، ثم حدث أن أخذ العرب يبعدون تدريجياً حتى اضمحل دورهم تماماً فى عهد المأمون ، كما حدث أيضاً أن عودى الفرس

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء — ص ٢٢٣

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك — جـ ١٠ — ص ٣٠٧

نتيجة سلسلة من الأحداث حيث كان ينكل برؤسائهم وسادتهم كما حدث للبرامكة ثم لبنى سهل وخروج المأمون من خراسان ورجوعه إلى بغداد .
وهكذا نجد أن العباسيين قد تركوا سياسة الاعتماد على العرب والفرس وبالتالى سياسة الموازنة بين هذين العنصرين . ولم يكن أمام المعتصم ومن جاء بعده من الخلفاء سوى الالتجاء إلى العنصر التركى .

ولم تمر هذه السياسة دون معارضة بل نجد قيام مؤامرة يدبرها العباس ابن المأمون ضد الترك وقد سبقت الإشارة إليها .

غير أن الأتراك كانوا يتمتعون بكفاءة حربية متفوقة وكانوا يمتازون بالترابط الحربى الذى استعاضوا به عن انتمائهم إلى أسر . وكانوا أنصاف برابرة وليس لهم اهتمامات ثقافية . حقاً لقد كانت هناك ثقافة معينة فى وسط آسيا ولكن هؤلاء الأتراك لم يصيبوا حظاً منها لأنهم كانوا يجلبون إلى العالم الإسلامى وهم صغار لا يعرفون شيئاً عن حضارتهم . ولم يكن هناك روابط روحية قوية تربط الأتراك بالخلفاء ومن ثم نجدهم لا يحترمون أشخاص الخلفاء ولم يكونوا يتورعون عن التنكيل بهم وقتلهم .

الواثق بالله (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ) :

وزاد نفوذ الأتراك فى عهد الواثق بالله وصارت لهم السيطرة المطلقة . وفى سنة ٢٢٨ هـ استخلف الواثق على تدبير أمر الدولة أشناس وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً ، ويقول السيوطى فى معرض ذلك : وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطاناً فإن الترك إنما كثروا فى أيام أبيه . ومات أشناس سنة ٢٣٠ هـ [1] كما سبق أن قدمناه .

---

(١) تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٦

ثم صار لإيتاخ التركى الأمر كله وكانت السلطة كلها فى قبضته .

المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) :

أراد المتوكل أن يستعيد للخلافة نفوذها ضد الترك وفى سبيل ذلك لجأ إلى الاستعانة بالجماهير وربما فى سبيل ذلك أيضا ترك الاعتزال ورجع إلى مذهب أهل السنة واتخذ إجراءات ضد أهل الذمة وقرب إليه ذا النون المصرى (وهو أول من تكلم بمصر فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) .

وعمل على التخلص من طغاة الترك فقتل إيتاخ . ولكن كان قد فات الأوان إذ كان نفوذ الترك قد استفحل بحيث كان من المستحيل الوقوف أمامه . وصارت لهم الكلمة الأولى دون منازع وانتهى أمر المتوكل بأن قتل على يد الترك وتزعم المؤامرة باغر التركى وذلك باتفاق مع المنتصر ابن المتوكل وقتل مع المتوكل وزيره الفتح بن خاقان . وبعهد المتوكل يبدأ العصر العباسى الثانى أو العصر التركى .

ومنذ ذلك الوقت استبد الأتراك بالخلفاء أنفسهم ولم تدم خلافة المنتصر فهو ستة أشهر .

وصار الحكام والقواد فى الدولة العباسية من الأتراك . وفى إيران كانت جميع الأسر الحاكمة تقريبا من أصل تركى .

ونقط فى الأجزاء البعيدة أو التى يتعذر الوصول إليها كان الحكام غير أتراك مثل بلاد العرب ولبنان واليمن وشمال أفريقيا . كما كان لأسر عربية سيطرة مؤقتة فى أراضى الحدود .

أما بغداد والعراق فنجدها تحكم بسلسلة من الأمراء وأمراء الأمراء .

الحركات الفارسية

ذات الصبغة الدينية والسياسية

من أهم هذه الحركات في العصر العباسي الأول : الراوندية والمقنعية والخرمية والزندقة ، ومعظم هذه الحركات ظهرت على أثر مقتل أبي مسلم الخراساني وهي تعبر عن الرغبة فى استمرار روح الثورة التي كانت من أهم العوامل فى القضاء على الدولة الأموية .

الراوندية :

ربما كانت حركة الراوندية من أولى المبادرات المضادة للأسلوب الذى اختارته الدولة العباسية من حيث الاستقرار ومراعاة تعاليم الإسلام. وقد قام بهذه الحركة طائفة من الفرس الذين كان أسلافهم قبل الإسلام يقدسون ملوكهم ويجعلونهم فى مصاف الآلهة ، وسميت هذه الحركة بالراوندية نسبة إلى مدينة راوند ، وهى مدينة قريبة من أصفهان وكانت مقر دعوتهم [1] .

ووصف المدائنى (ت ٢١٤ ﻫ) عقيدة الراوندية بأنهم كانوا يزعمون أن روح عيسى بن مريم انتقلت إلى على بن أبى طالب ، ثم إلى الأئمة واحداً بعد الآخر إلى ابراهيم بن محمد سبط العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ثم إلى السفاح ثم المنصور .

كما كان من تعاليمهم استباحة الحرمات : إذ ربما دعا الرجل منهم زملاءه فى عقيدته إلى بيته فأطعمهم وسقاهم وأباح لهم الحرمات .

---

(١) دكتور حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ص ١٠٤ .

وقد خرج الراوندية على الناس بالسلاح فى عهد المنصور ، وأقبلوا يصيحون به : أنت أنت ؛ فخرج إليهم الخليفة بنفسه وقاتلهم . فظلوا يقولون أنت أنت[1] .

وكان الراوندية يزعمون أنهم يستطيعون أن يطيروا فى الهواء كما يعزى مثل ذلك إلى البوذيين .

المقنعية :

ظهر المقنع فى خراسان فى عهد المهدى ، ويقال إنه كان قبيح الوجه ولذلك كان يخفى وجهه بقناع كان يتخذه من الذهب ، ومن هنا سمى بالمقنع وتتصل حركته بمقتل أبى مسلم الخراسانى : إذ زعم أن الإله تمثل فى صورة أبى مسلم ثم فى صورة المقنع نفسه ، كما زعم أنه يخفى وجهه حتى لا يحترق من يراه على حقيقته . واستطاع المقنع أن يضلل أتباعه بإيهامهم بقدرته على إظهار القمر فى غير وقته ومكانه . ولجأ إلى ذلك بإظهار ضوء فى السماء عن طريق شعاع الزئبق .

وكان من تعاليم المقنع إسقاط العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، كما أباح لأتباعه الأموال والنساء .

واعتصم المقنع مع أنصاره بقلعة حصينة بكش ، واستطاع أن يضم إليه بعض أهالى بخارى وسمرقند وأتراك بحر قزوين ، وكثر أنصاره حتى صار خطراً يهدد الدولة العباسية . ومن ثم وجه إليه المهدى حملة كبيرة بقيادة معاذ بن مسلم فحاصرت قلعته وضيقت عليه الخناق مما أدى إلى انصراف معظم أتباعه عنه . وفى سنة ١٦٩ هـ اشتد عليه الحصار ويئس من الانتصار أو الهرب فانتحر حرقاً هو ومن بقى معه من أتباعه .

---

(١) فان فلوتن : السيادة العربية — ص ٨٢ ، ٩٦

ومع ذلك فقد بقى نفر من بلاد ماوراء النهر والتركستان ظلوا على مبادىء المقنع وصار هؤلاء يعرفون باسم « المقنعية المبيضة » .

الخرمية :

ظهرت حركة الخرمية فى عهد المأمون . وتنتمى إلى مذهب فارسى قديم يسمى بالاسم نفسه أسسه مزدك فى عهد قباذ أبى كسرى أنوشروان . ويقال إن هذه الحركة سميت بالخرمية نسبة إلى مدينة خرمة . ولكن البعض يرجع نسبتها إلى « خرم » ومعناها اللذة إذ أباحت هذه الحركة الأخذ بأسباب اللذة والمتعة .

وقد تزعم الخرمية « الجديدة » بابك الذى ذكر البعض أنه من سلالة أبى مسلم الخراسانى ، وأنه ثار على العباسيين انتقاماً له ، كما ذكروا أيضاً أن حركته استمرار للراوندية والمقنعية وأنه كان يدعى الانتماء إلى آل البيت .

وقيل إن بابك كان يقوم بخدمة أحد زعماء الخرمية المزدكية ثم تزوج بعد وفاته بامرأته التى ادعت أن روح هذا الزعيم حلت فى جسد بابك[1] .

وكان الخرمية يقولون بالنور والظلمة ، ويعتقدون بالتناسخ ويتبركون بالخمور ويتظاهرون بالتسامح ، ويبيحون للنساء التحرر بقصد الاستمتاع بهن .

وكان لهم أهداف سياسية تتلخص فى تحويل الملك من العرب إلى الفرس[2] . واستعان بابك بالإمبراطور توفيلس البيزنطى ضد المأمون ، وانتهز توفيلس هذه الفرصة ليضرب الدولة الإسلامية من الداخل فأمد بابك بمساعدته . واستفحل أمر بابك ، واستولى على أذربيجان

(١) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال (طبعة ليدن) ص ٢٩٧

(٢) البلخى : كتاب البدء والتاريخ — جـ ٥ — ص ١٣١

واشتد أزره بمساعدة البيزنطيين . كما انضوى تحت لوائه طوائف كثيرة من أصحاب المذاهب السياسية والدينية المناوئة للخلافة العباسية . واستطاع بابك أن يكون جيشاً كبيراً يقال إن تعداد فرسانه بلغ عشرين ألفاً ، وصار يهدد الدولة العباسية .

وزادت الحالة سوء فى عهد المعتصم فصمم على القضاء على هذه الحركة . وبالرغم من أن الامبراطور البيزنطى حاول أن يشغل المعتصم عن التفرغ لبابك بأن هاجم حدود الدولة العباسية فإن جيوش المعتصم بقيادة الأفشين تمكنت من القضاء على جيوش بابك ومن أسره فى سنة ٢٢٣ هـ وسيق بابك وأخوه إلى المعتصم فأمر بقتلهما .

حركة المازيار :

ترتبط حركة المازيار بالخرمية . وكان المازيار من دهاقين الفرس وأسلم فى عهد المأمون وتسمى محمدا . وولاه المأمون شروين فى أطراف طبرستان ، وسمح له أن يحتفظ بلقب « الأصبهذ » ، وهو لفظ فارسى بمعنى « القائد » ، وكان لقباً عاماً على ملوك طبرستان . ويقال إن المازيار كان يتزعم طائفة من الخرمية يقال لها (المحمرة) .

وحاول المازيار فى عهد المعتصم الاستقلال عن الخلافة فدعا الناس إلى بيعته ، وأغرى أكرة الضياع أى عمال الأراضى بالقيام على أصحابها ونهبها ، كما يقال أنه كان على اتصال ببابك الخرمى ، وأنه كان من أهدافه القضاء على الإسلام وتحويل الملك إلى الفرس[1] .

غير أن حركته باءت بالفشل : إذ تمكنت جيوش المعتصم من القبض عليه ، وسيق إلى سامرا حيث صلب .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ـ جـ ١٠ ص ٣١٩

هذا وقد أعدم معه فى هذه المؤامرة الأفشين الذى اتهم باتفاقه مع المازيار والزندقة .

الزندقة :

لهذا المصطلح معان مختلفة : فكان العرب فى أول الأمر يطلقون لفظ زنديق على من لا يؤمن بوجود الله ، أو من يبطن الكفر ويتظاهر بالإيمان. وكذلك أطلق لفظ زنديق على من كان يتشبه بالفرس ويسرف فى العبث والمجون ويدمن شرب الخمر ، كما أطلق أيضاً على من يتظاهر بالظارف أو بالتجرر الفكرى أو بالثقافه الرفيعة .

غير أن الزندقة الحقيقية التى ظهرت فى العصر العباسى كانت تتمثل فى اعتناق الديانة المانوية التى تؤمن بوجود إلهين وتدعو إلى عبادتهما . وكانت تقوم هذه الزندقة على نوع من المساواة الفاسدة التى تبيح المحرمات ، وتلوث المجتمع ، وتعرض الحياة السياسية والدينية للخطر .

ويقال إن الميل إلى الزندقة بدأ فى أواخر العصر الأموى ، ولكن الزندقة ظهرت كحركة بعد قيام الدولة العباسية حيث انتشرت فى الكوفة بصفة خاصة .

وتصدى المهدى فى سنة ١٦٦ هـ للزنادقة وأنشأ لهم ديواناً سمى ديوان الزنادقة ، وكانت وظيفته تتبع الزنادقة والقضاء عليهم . كما ألف هيئة علمية مهمتها مناظرة الزنادقة ، ووضع الكتب للرد عليهم (١) .

ولما ولى الهادى الخلافة اشتد فى تعقبهم واستئصالهم . وحذا الرشيد حذوه ، ويعزو البعض نكبة البرامكة إلى اتهامهم بالزندقة . وبقيت الزندقة بعد الرشيد ، وقد أعدم الأفشين فى عهد المعتصم بتهمة الزندقة .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب - جـ ٢ - ص ٤٠١

وانتهت حركة الزندقة بأن صارت مجرد حركة فكرية ذات طابع فردى ، ووقفت عند حد المهاترات باللسان والقلم . ويقال إن واصل بن عطاء كان أول من تصدى للرد على الزندقة ، وقد استطاع أن يقنع كثيرا منهم بترك الزندقة . وممن قام أيضا للرد على الزنادقة عمرو بن عبيد والنظام .

مظاهر الصراع بين العرب والعجم

فى العصر العباسى الأول

كان للموالى من الفرس فضل كبير فى قيام الدولة العباسية ومن ثم صار للفرس دورهم فى أنظمة الدولة المختلفة وتقاليدها الاجتماعية . ومن هنا وجد الفرس فرصة لتحسين مركزهم الاجتماعى والأدبى فى الدولة الإسلامية .

وقد قامت سياسة الدولة العباسية فى العصر الأول على الموازنة بين العنصر العربى والعنصر الفارسى سواء فى البلاط أو فى الجيش أو فى الإدارة . وكان من جراء هذه السياسة أن حل محل الأرستقراطية العربية نوع من البيروقراطية أو أرستقراطية الوظيفة المتحكمة ، وأخذ العنصر العربى يفقد امتيازاته تدريجيا إلى أن أخرج من الجيش وأوقفت أعطياته تماما فى عهد المعتصم لحساب الغلمان من الأتراك .

هذا وقد أخذ الصراع بين العنصرين العربى والفارسى أحيانا أسلوب الدس والتآمر بين رجال الدولة . ولأمر ما كان كثير من رجال الدولة من الفرس ينتهى أمرهم نهاية أليمة ، كما هى الحال بالنسبة لأبى مسلم الخراسانى وأبى أيوب سليمان مخلد الموريانى الجوزى وأبى عبيد الله معاوية بن يسار ويعقوب بن داود . ويعزو البعض نكبة البرامكة إلى هذا الصراع بين

المنصرين وبصفة خاصة إلى تآمر الفضل بن الربيع وزبيدة زوجة الرشيد وأنصارهما من العرب ضد البرامكة الفرس.

كما يعزى أيضا الحرب التى نشبت بين الأمين وأخيه المأمون إلى التنافس بين الفضل بن الربيع وحزبه من العرب وبين الفضل بن سهل وحزبه من الفرس .

وقد تمثل الصراع بين الفرس والعرب إلى حدما فى الحركات الفارسية ذات الصبغة الدينية والسياسية التى ناوأت الدولة العباسية مثل الراوندية والمقنعية والخرمية وحركة المازيار والزندقة التى كان من أهدافها تحويل الملك من العرب إلى الفرس كما سبق أن ذكرنا ، كما أن بعض الفرس وجدوا فى اعتناق المذاهب المناوئة أو فى الانضمام إلى حركة الخوارج تحقيقا لرغبتهم فى إعلاء شأنهم والحط من العرب .

ومن جهة أخرى أخذ الصراع بين العجم والعرب شكلا أدبيا. إذ ظهر نوع من الأدب يتضمن محاولات للنيل من شأن العرب والإشادة بأجناس أخرى أو للدفاع عنهم وتمجيدهم ،وقد سميت هذه الحركة بالشعوبية[1] وقد ظهرت الشعوبية مثلا فى شعر بشار بن برد . وكان من أيد الشعوبية البيرونى وحمزة الأصفهانى فى حين دافع عن العرب الجاحظ وابن دريد وابن قتيبة والبلاذرى .

ومع ذلك يجدر بنا ألا نبالغ فى تجسيم الصراع بين العرب والعجم فمن الملاحظ أن حركة الشعوبية كانت حركة محدودة . كما أن الحركات الفارسية أو المذاهب المناوئة للدولة العباسية لم تقم بدافع عنصرى فحسب.

---

(١) دكتور حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق — ص ٢١٢

وبالإضافة إلى ذلك فإن طبيعة الإسلام قد خففت من العصبية العنصرية والتفرقة الجنسية فى الدولة العباسية . إذ يدعو الإسلام إلى المساواة بين سائر الأجناس ويقصر التميز على التقوى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

كما كان لنظام التسرى أثره فى تأكيد الوحدة والمساواة بين الأمة الإسلامية . وليس أدل على ذلك من أن الخلفاء العباسيين كانوا أبناء نساء من جنسيات مختلفة : من عرب وفرس وترك وروم وبربر وغير ذلك .

تطور العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين

كان البيزنطيون فيما قبل الإسلام يطمعون فى السيطرة على بلاد العرب رغبة فى التحكم فى طرق التجارة العربية من جهة وفى التضييق على أعدائهم الفرس الساسانيين من جهة أخرى . وكان ابرز محاولاتهم فى سبيل ذلك حملة أبرهة الحبشى لهدم الكعبة التى باءت بالفشل: « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » .

وكانت جيوش الحبشة قـــد دخلت اليمن قبل ذلك بإيعاز من البيزنطيين .

واستمرت مناوشات العرب مع جيوش الدولة البيزنطية بعد ظهور الإسلام . ولقد قاد النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة تبوك ضد الدولة البيزنطية . وأخذ المسلمون منذ عهد عمر بن الخطاب يقتطعون منها أهم ولاياتها : فاستولوا على الشام ومصر وأرمينية وشمال إفريقية . وحدثت

بعض محاولات جادة للاستيلاء على عاصمة الدولة نفسها ، ففى عهد عثمان ابن عفان توجهت حملة للاستيلاء على القسطنطينية فى سنة ٣٤ ﻫ (٦٥٥م) ؛ وفى خلافة معاوية خرجت حملتان : إحداهما فى سنة ٤٨ ﻫ (٦٦٧م) ، والأخرى فى سنة ٥٤ ﻫ (٦٦٤م) ، وفى عهد سليمان بن عبد الملك خرجت حملة فى سنة ٩٨ ﻫ (٧١٦م) . وتمكن المسلمون من حصار القسطنطينية خلال هذه الحملات فى بعض الأحيان ، غير أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها نظرا لحصانة موقعها .

واستمرت إغارات المسلمين على الدولة البيزنطية وكانت تقابل أيضاً بإغارات مضادة من البيزنطيين .

وفى أواخـــر العصر الأموى وبداية العصر العباسى شغلت الدولة الإسلامية بصراع الأمويين مع العباسيين أولا ثم بالمنازعات الداخلية التى نشبت بين العباسيين أنفسهم من جهة وبينهم وبين الحركات المناوئة من جهة أخرى . واستمر هذا الصراع طوال عهد السفاح والمنصور . وانتهز البيزنطيون هذه الفرصة فأخذوا يمدون نفوذهم فى آسيا الصغرى وأرمينيا فى عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ — ٧٧٥م/١٢٣ — ١٥٨ﻫ) مما أدى إلى تراجع خط الثغور الإسلامية الممتد من سوريا إلى أرمينيا . وساعد على ذلك نقل عاصمة الخلافة العباسية من دمشق إلى بغداد بعيدا عن مناطق الصراع ، وعدم اهتمام العباسيين ببناء أسطول قوى فى البحر الأبيض المتوسط مما أدى إلى الإضعاف من فاعلية التحركات الإسلامية ، وهيأ للبيزنطيين حرية الحركة وأطمعهم فى التقدم .

فى عهد المهدى :

ولم تنقطع المناوشات بين جيوش الدولتين حتى عهد المهدى فوجه

عنايته إلى هذا الصراع ووجه إلى البيزنطيين عدة حملات كان النصر فيها حليف المسلمين . وانتهز المهدى بدوره ضعف السلطة البيزنطية إذ كان يلى الحكم فى ذلك الوقت الملكة إيرين كوصية على ابنها الصغير الإمبراطور قسطنطين السادس . وجهز المهدى حملة كبيرة بقيادة ابنه هارون واتجهت الحملة نحو القسطنطينية نفسها وبلغت مضيق البوسفور فى حوالى سنة ١٦٤ هـ (٧٨٢م) وهددت القسطنطينية نفسها وأوقعت بالجيوش البيزنطية خسائر فادحة قدرها بعض المؤرخين بـ ٥٤ ألف قتيل و ٥ آلاف أسير . وإزاء ذلك اضطرت الملكة إيرين إلى طلب الصلح وعقد هدنة لمدة ثلاث سنوات كما قبلت أن تدفع جزية مقدارها ٩٠ ألف دينار . وكان من شروط الصلح أيضاً أن يسلم البيزنطيون أسرى المسلمين ، وأن تقيم إيرين لجيوش المسلمين الأسواق والأدلاء فى الطريق عند عودتهم إلى بلادهم[١].

وكان من جراء نجاح هارون فى هذه الحملة أن لقبه أبوه بالرشيد وأوصى له بولاية العهد بعد أخيه الأكبر موسى الهادى .

فى عهد الرشيد :

وسار الرشيد على سنة أبيه المهدى فى محاربة البيزنطيين مما دفع إيرين إلى الاستمرار فى دفع الجزية . ولكن حدث أن اعتلى العرش البيزنطى الإمبراطور العربى الأصل (لعله من سلالة جبلة الغسانى) نقفور الأول (١٨٦ هـ — ٨٠٢ — ٨١١ م) فنقض الصلح الذى كانت قد عقدته الملكة ايرين . ولم يكتف نقفور بنقض الهدنة وبالامتناع عن دفع

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٩ ، ص ٣٤٧

Finlay. History of the Byzantine Empire. pp. 104-7.

الجزية بل إنه أرسل إلى الخليفة هارون الرشيد فى سنة ١٨٧هـ (٨٠٣م) خطابا يطالبه فيه برد ما دفعته إيرين من مال . وقد جاء فى هذا الخطاب مايلى :

« من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها إليها ولكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من أموالها وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك وإلا فالسيف بيننا وبينك » .

واستشاط هارون الرشيد غضبا من هذا الخطاب ورده إلى نقفور بعد أن كتب على ظهره :

« بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه » .

ودبر الرشيد أموره للانتقام من نقفور وغزو الدولة البيزنطية فاتخذ الرقة عند الفرات مقراً له يوجه منه جيوشه إلى آسيا الصغرى . وتوغلت حملات الرشيد فى آسيا الصغرى ، وفى سنة ٨٠٦م (١٩٠هـ) استولت على هرقلة والطوانه وغيرهما من مدن الروم وأوقعت بالجيوش البيزنطية خسائر كثيرة إذ بلغ عدد الأسرى ١٠ آلاف .

وفى الوقت نفسه وجه الرشيد أساطيله فى البحر الأبيض المتوسط فغزت جزيرة قبرص فى نفس العام وأسرت ١٦ ألفاً من بينهم أسقف الجزيرة .

وإزاء هذه الأخطار التى هددت سلامة الدولة البيزنطية وملك نقفور نفسه اضطر نقفور أن يرجع إلى دفع الجزية المقررة بل وافق على أن يدفع

جزية خاصة عن نفسه وعن أفراد أسرته مقدارها ٣٠٠ ألف دينار واشترط على نفسه ألا يعمر مدينة هرقلة : أحد مراكز هجوم البيزنطيين وذلك فى مقابل ألا يخرب الرشيد ذا الكلاع أو سمله أو حصن سنان(١).

فى عهد المأمون :

انصرف المسلمون عن الجهاد ضد الدولة البيزنطية فى عهد الأمين نظرا لانشغالهم بالحروب الداخلية بين الأمين والمأمون ولكن لم يلبث أن احتدم الصراع بين الدولتين فى عهد المأمون ، واتخذ الصراع شكلا جديدا بين المأمون وبين الإمبراطور البيزنطى توفيلس إذ عمل كل منهما على أن يقوض سلطان الآخر فى داخل الدولة : فأخذ المأمون يشجع أحد منافسى الإمبراطور البيزنطى (واسمه : توماس الصقلبى) على أن يقوم بانقلاب ضد توفيلس فى حين أوى الإمبراطور البيزنطى الخرمية أتباع بابك الخرمى الذى ثار فى سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) على المأمون بالأقاليم الجبلية فى الشمال الشرقى فى إقليم أران واستطاع أن يستقل عن الدولة العباسية مدة ٢٢ سنة (من ٢٠١-٢٢٣هـ).

وبذلت محاولات للصلح بين المأمون وتوفيلس ولكنها باءت بالفشل وفى سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) خرج المأمون بنفسه على رأس حملة ضد الروم غير أنه عاجلته منيته أثناء مسيرة عند طرسوس(٢).

فى عهد المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) :

زادت العلاقات سوء فى عهد المعتصم غير أن المعتصم وجه اهتمامه أولا للقضاء على حركة بابك الخرمى ، ورغبة فى مساعدة بابك أغار الإمبراطور

---

(١) الطبرى : المرجع السابق ـ جـ ١٠ ـ ٩٢ - ٩٣

(٢) المرجع السابق ص ٢١٨

البيزنطى فى هذه الأثناء على الثغور الإسلامية فدخل زبطره وأحرقها وأسر من فيها من المسلمين ومثل بهم فسمل أعينهم وقطع أنوفهم وآذانهم .

ويروى ابن الأثير أن امرأة هاشمية من الأسرى صاحت وهى فى أيدى الروم « وامعتصماه » فبلغه ذلك (وكان قد انتهى من القضاء على بابك) فأجابها : « لبيك لبيك » وأمر فى الحال بالتجهز للخروج إلى بلاد الروم . واتخذ المعتصم العدة اللازمة من السلاح والعدد وأدوات الحصار والنفط والغذاء والماء ودواب الحمل ، ويقال إن ما تجهز به المعتصم فى هذه الحملة فاق كل ما تجهزت به أية حملة من قبل ، وكان فى هذه الحملة مجموعة من كبار قواده ولا سيما من الأتراك أمثال الأفشين وأشناس وبغا الكبير . وبلغ عدد الجند حسب ما ذكره بعض المؤرخين ٥٠٠ ألف (وفى قول آخر ٢٠٠ ألف) .

وتقدم المعتصم فى آسيا الصغرى فاستولى على أنقره ثم توجه إلى عمورية مسقط رأس الإمبراطور توفيلس فدخلها فى سنة ٢٢٣هـ (٨٣٨ م) ويقال إنه بعد أن افتدى أشرافها ونبلاؤها أنفسهم بأموال طائلة نكل بالمدينة وأهلها إذ تركها للنهب والتدمير والإحراق أربعة أيام كاملة حتى بلغ عدد القتلى من سكانها ٣٠٠ ألف .

وإزاء هذا الغزو المكتسح اضطر توفيلس (٨٢٩ — ٨٤٢ م) إلى الاستنجاد بملوك أوربا فاستغاث بصاحب البندقية وملك الإفرنج بل استغاث أيضا بالأمويين فى الأندلس .

غير أن المعتصم لم يتابع مسيرته إلى القسطنطينية إذ بلغه نبأ بعض الاضطرابات فى الجيش العباسى مما اضطره إلى الرجوع إلى بلاده .

ولقد كان انتصار المعتصم فى عمورية مجالا لقصائد الشعراء ومن أشهرها قصيدة أبى تمام المعروفة :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
يايوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب

بعد المعتصم :

لم تنقطع المناوشات بين المسلمين والبيزنطيين بعد المعتصم بل استمرت الغارات من الجانبين ، واستمر ضغط المسلمين على حدود الدولة البيزنطية متمثلا فى غزوات دورية كان تعدادها ثلاثا كل عام وكانت إحداها فى الشتاء ووقتها من آخر فبراير إلى أوائل مارس والثانية فى الربيع ومدتها ٣٠ يوما من ١٠ مايو إلى ١٠ يونيه والثالثة صائفة وتبدأ من ١٠ يوليه وتستمر لمدة ٦٠ يوما ، وكانت هذه الغزوات عاملا على العناية بالثغور والأربطة حيث كان يرابط المجاهدون فى سبيل الله استعدادا للغزو ولمدافعة الأعداء ؛ غير أن هذه الغزوات لم يكن لها تأثير كبير فى كيان الدولة البيزنطية .

ثم حدثت جولة ثانية فى الصراع مع الدولة البيزنطية فى عهد بنى حمدان أمراء حلب وذلك منذ منتصف القرن العاشر الميلادى (٤ هـ) .

ثم بدأ الخطر الحقيق يحيق بالدولة البيزنطية على يد السلاجقة الذين أخذ فرع منهم يتوغل فى آسيا الصغرى ويستوطن بها ومن ثم سموا بسلاجقة الروم ؛ وكان من جراء هذا الخطر أن استنجد البيزنطيون بالصليبيين وكان ذلك من أسباب الحروب الصليبية .

ثم ظهر الأتراك العثمانيون على مسرح التاريخ فقضوا على السلاجقة ثم استولوا على القسطنطينية نفسها فى سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) وبذلك قضى نهائياً على الدولة البيزنطية .

الفصل الثانى

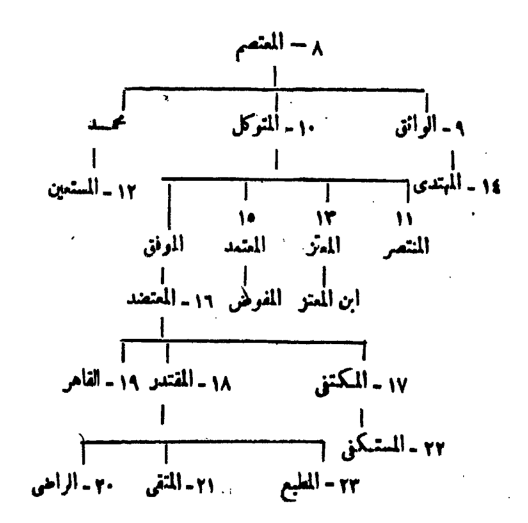
العصر العباسى الثانى

يمتد هذا العصر من سنة ٢٣٢ ھ إلى سنة ٣٣٤ ھ (٨٤٧ — ٩٤٦ م) وينتهى باستيلاء بنى بويه على السلطة فى بغداد ، وقد تولى الخلافة فى هذا العصر ١٣ خليفة وهم :—

١٠ — أبو الفضل جعفر المتوكل على الله	٢٣٢ ھ / ٨٤٧ م
١١ — أبو جعفر محمد المنتصر بالله	٢٤٧ ھ / ٨٦١ م
١٢ — أبو العباس أحمد المستعين بالله	٢٤٨ ھ / ٨٦٢ م
١٣ — أبو عبد الله محمد المعتز بالله	٢٥٢ ھ / ٨٦٦ م
١٤ — أبو اسحق محمد المهتدى بالله	٢٥٥ ھ / ٨٦٩ م
١٥ — أبو العباس أحمد المعتمد على الله	٢٥٦ ھ / ٨٧٠ م
١٦ — أبو العباس أحمد المعتضد بالله	٢٧٩ ھ / ٨٩٢ م
١٧ — أبو محمد على المكتفى بالله	٢٨٩ ھ / ٩٠٢ م
١٨ — أبو الفضل جعفر المقتدر بالله	٢٩٥ ھ / ٩٠٨ م
١٩ — أبو منصور محمد القاهر بالله	٣٢٠ ھ / ٩٣٢ م
٢٠ — أبو العباس أحمد الراضى بالله	٣٢٢ ھ / ٩٣٤ م
٢١ — أبو اسحق ابراهيم المتقى بالله	٣٢٩ ھ / ٩٤٠ م
٢٢ — أبو القاسم عبد الله المستكفى بالله	٣٣٣ ھ / ٩٤٦ م [1]

---

(١) انظر زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ترجمة الدكتور زكى محمد حسن وحسن محمود وآخرين.



٨ – المعتصم
٩ - الواثق
١٠ - المتوكل
محمد
١٢ - المستعين
١٤ - المهتدى
١١
المنتصر
١٣
المعتز
١٥
المعتمد
الموفق
ابن المعتز
المفوض
١٦ - المعتضد
١٧ - المكتفى
١٨ - المقتدر
١٩ - القاهر
٢٢ - المستكفى
٢٣ - المطيع
٢١ - المتقى
٢٠ - الراضى

سيطرة الغلمان الأتراك على الخلافة :

ويتميز العصر العباسي الثاني بسيطرة المماليك من الأتراك الذين استكثر منهم المعتصم في حرسه وجيشه وإدارة دولته : إذ أخذ نفوذهم في الازدياد حتى استولوا على الأمور في بغــــداد والعراق ، واستبدوا بالسلطة دون الخلفاء ، كما صار منهم القواد والولاة على إمارات الدولة[١] .

وارتقى من هؤلاء الغلمان الأتراك طبقة أو طائفة استطاعت أن تكون لها السيطرة عليهم هي طائفة الأمراء . وصارت الإمارة بهذا المعنى رتبة يترقى إليها المماليك من الأتراك ، وكان المملوك إذا تأمر اسند إليه أهم وظائف الدولة الحربية والإدارية أو الولاية على إمارات الدولة .

وأخذت هذه الطائفة في التطور مع الزمن : فتفرع منها طبقة امراء الأمراء[٢] ، وبلغ تطورها أوجه في مصر في عصر المماليك حين صاروا يتولون السلطنة .

وبلغ استبداد الأتراك بالسلطة درجة كانوا معها هم الذين يعينون الخلفاء ويعزلونهم[٣] : إذ جاءوا مثلا بالمستعين بالله وضيقوا عليه حتى قال فيه أحد الشعراء :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له كما تقول الببغا

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ـ جـ ٧ ـ ص ٢٢٣ ، ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، ٢٨١ ،
ابن الأثير : الكامل في التاريخ ـ جـ ٦ ـ ص ١٦٦ ـ ١٦٧
(٢) مسكويه : تجارب الامم ص ٢٢١ ـ ٢٥٢
(٣) أحمد أمين : ظهر الإسلام ـ جـ ١ ـ ص ١٠

واستمر طغيانهم فى عهد المعتز ، واستبدوا بالمكتفى ، كما عزل المقتدر على يد مؤنس الخادم .

ولم يكونوا يتورعون عن قتل الخليفة : فقتلوا مثلا المتوكل والمهتدى بالله والمقتدر والراضى[1] : وكانوا أحيانا يلجئون إلى سمل الخلفاء للتخلص منهم، وكانت هذه العادة معروفة عند البيزنطيين . وكان أول من سمل من الخلفاء هو القاهر بالله ، وقد أشار بسمله سيماء مقدم الحجرية ، كما سمل أيضاً المستكفى ، وكذلك المتقى الذى سجن مدة ٢٥ سنة إلى أن مات فى شعبان سنة ٣٥٧ هـ .

هذا وقد كان من تصرفات أفراد البيت العباسى بعامة والخلفاء بخاصة ما ساعد الاتراك على التنكيل بهم ، وعلى ضياع هيبتهم : إذ اشتد الخلاف بينهم وكثيرا ما كانوا يتآمرون بعضهم على بعض فى سبيل الخلافة . لما سمل المتقى قال القاهر وكان قد سمل قبله :

صرت وإبراهيم شيخى عمى لابد للشيخين من مصدر
مادام توزون له أسرة مطاعة فالميل فى المجمر

هذا وقد حجر الموفق على أخيه الخليفة المعتمد ، واستبد بالسلطان دونه ، كما أرغم الخليفة نفسه على أن يعهد إلى ابن الموفق بولاية العهد بدلا من ابنه .

كما حدث أن خرج على المقتدر ابن المعتز فى ٢١ ربيع الأول سنة ٢٩٦ هـ ، ثم القاهر فى ١٥ المحرم سنه ٣١٧ هـ .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب — ج ٢ — ص ٦٩ — ٧٠

ومن جهة أخرى انشغل الخلفاء بملذاتهم عاهياً الفرصة للأتراك بالاستبداد بالسلطة. وبلغ من ضعف بعضهم أن صار الحريم كلمة مسموعة فى إدارة الدولة مما أدى إلى تدهور مركز الخلافة : فنى عهد المقتدر كان الأمر والنهى بيد أمه واسمها السيدة إذ كان فى استطاعتها عزل الأمراء ، وبلغ من نفوذها أن ولت تومال : احدى وصيفاتها صاحبة للمظالم . وأشار مسكويه وابن الأثير إلى دور الحريم فى خلع المتقى وتولية المستكفى[1] .

وبالرغم من ذلك كله فإن الأتراك ظلوا محافظين على الخلافة العباسية . وحاول بعض خلفاء هذا العصر أن يستعيدوا نفوذهم . وبدأ المتوكل هذه المحاولات ولكنها انتهت بقتله ، وحاول المستعين ذلك أيضاً فقتل وصيفا وبغا ونفى باغر ، ولكنه فشل فى التخلص من نفوذ الأتراك، كما أن المهتدى تصدى لقتال الأتراك ولكن محاولته انتهت بقتله . ومع ذلك فقد استردت الخلافة العباسية بعض هيبتها فى عهد المعتضد .

اضمحلال سلطة الوزراء :

بالإضافة إلى تدهور الخلافة اضمحلت أيضاً سلطة الوزراء نتيجة تضييق الأتراك عليهم ، وكاد تضييق الخناق على الوزارة أن يؤدى إلى زوال هذا المنصب : إذ حدث بعد مقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧ هـ أن توقفت الوزارة مدة تسع سنوات ، ولم ترجع إلا بخلافة المعتمد فى سنة ٢٥٦ هـ .

وحاول بعض الوزراء استعادة نفوذ الوزارة ، ومن هؤلاء أبو الحسين على بن عيسى الذى نجح إلى حد ما فى إقرار منصب الوزير وسلطته. ولكن

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ـ جـ ٨ ـ ص ٧٦.

لم يلبث أن تدهورت سلطة الوزارة منذ خلافة الراضى (٣٢٢ — ٣٢٨ هـ) وذلك على أثر ظهور منصب أمير الأمراء : إذ سجن الوزير ابن مقلة فى عهده ، وأبطل ابن رائق أمير الأمراء أمر الوزارة والدواوين[1] .

انتقال الخلافة من بغداد إلى سامرا :

ويتميز هذا العصر أنه حين بدأ كان مركز الحكم قد انتقل من بغداد إلى سامرا التى أسست خاصة لتؤوى الأتراك بعد أن ضاق بهم أهالى بغداد . ومن ثم شاهد هذا العصر اضمحلالا مؤقتاً لمدينة بغداد وذلك لحساب مدينة سامرا العاصمة الجديدة التى ازدهرت فيها الحضارة ازدهارا يشهد به الآثار التى كشفت عنها الحفائر الأثرية التى أجريت فى هذه المدينة . وصارت سامرا مصدر التقاليد الفنية والاجتماعية المستحدثة فى العالم الاسلامى . غير أنه لم يمض ٥٥ سنة حتى رجعت الخلافة فى عهد المعتمد إلى بغداد التى استردت مكانتها حين أخذت سامرا فى الأفول[2] .

ونظرا لازدياد نفوذ الأتراك فان الحضارة الإسلامية أخذت يظهر فيها تأثيرات جديدة ذات طابع تركى وذلك بالإضافة إلى التأثير العربى والفارسى . ويتضح هذا التأثير فى التقاليد الاجتماعية ونظم الحرب والتنظيمات العسكرية وكذلك فى المظاهر الفنية .

تمزق الدولة العباسية :

وظهرت فى هذا العصر النتائج التى ترتبت على سياسة الخلفاء ، وعلى استبداد الأتراك بالسلطة ، والتى ظهرت بوادرها فى العصر الأول من حيث

---

(١) محمد الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة العباسية ص ٣٦٢

(٢) ياقوت : معجم البلدان ـ جـ ٥ ـ ص ١٧

تمزق الدولة إلى دويلات مستقلة عن الخلافة استقلالا فعلياً وإن ارتبطت بها اسميا : مثل الدولة الطاهرية (٢٠٥ — ٢٨٦) ، والصفارية (٢٥٦ — ٣٣١)، والسامانية (٢٨٩ — ٣٣٣) فى إيران، ومثل الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢)، والأخشيدية (٣٢٣ — ٣٥٨ ﻫ) فى مصر ، ومثل دولة بنى حمدان فى الموصل وحلب (٢٩٣ — ٤٠٦) ، والدولة الأغلبية فى شمـــال افريقية (١٨٤ — ٢٩٦) وذلك بالاضافة إلى الدول التى كانت قد انفصلت عنها تماما مثل الدولة الأموية فى الأندلس (١٣٨ — ٤٢٢) ودولة الأدارسة فى مراكش (١٧٢ — ٣٤٣).

قيام الدولة الفاطمية :

كما ظهر الفاطميون فى سنة ٢٩٧ ﻫ فى عهد المقتدر حين أسسوا أسرة حاكمة شيعية نافست الخلافة العباسية ، واقتطعت منها كثيرا من أقطارها مثل مصر[1] والشام وبلاد العرب وفى وقت من الأوقات هددت الخلافة العباسية فى عقر دارها أى فى بغداد نفسها .

هذا وتلقب الفاطميون بالخلافة منذ ظهورهم فى سنة ٢٩٧ ﻫ (٩٠٩ م) فى شمال إفريقية، وتبعهم فى ذلك عبدالرحمن الناصر فى سنة ٣١٧ﻫ (٩٢٩م) فى الأندلس . وبذلك وجد فى العالم الإسلامى خلافتان أخريان مما أدى إلى الانتقاص من مركز الخلافة العباسية وأهميتها السياسية والدينية .

وكان هذا التمزق تمهيداً لظهور دول محلية سيطرت على الخلافة العباسية وعاصمتها مثل دولة بنى بويه ذوى الميول الشيعية التى سيطرت على بغداد نفسها سنة ٣٣٤ ﻫ .

---

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ١١٤

وفى هذا العصر الثانى أخذ نفوذ الشيعة فى الازدياد ومما ساعد على ذلك ضعف الخلافة العباسية التى كادت تفقد قيمتها الدينية بعد أن ضاعت مكانتها السياسية .

النهضة الفكرية :

وبالرغم من مظاهر الضعف والتدهور التى انتابت الخلافة العباسية تميز هذا العصر بنهضة فكرية قوية : إذ عاش فيه من الفقهاء وعلماء الحديث أحمد ابن حنبل والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن جرير الطبرى . ومن الأدباء والشعراء الجاحظ والبحترى وابن عبد ربه والمتنبى كما بدأ فى هذا العصر ظهور حركات تصوف منظمة ، وفيه عاش ذو النون الزاهد المصرى وأبو سعيد الخراز شيخ الصوفية[١] .

ونبغ بعض خلفاء هذا العصر وبعض العباسيين فى بعض فروع الأدب مثل ابن المعتز ، كما كان المعتمد شاعرا وكان له وراق يكتب شعره بماء الذهب .

كما كان من خلفاء هذا العصر من عنى بالفنون والعمارة فكان الراضى مولعا بجمع البلور وبناء القصور وزراعة البساتين .

ظهور منصب أمير الأمراء :

بسبب سوء الأحوال ، وضعف الوزراء ، وتسلط الأتراك ظهر فى أواخر العصر وظيفة جديدة تفرعت من الإمارة هى وظيفة أمير الأمراء وقد عرف « أمير الأمراء » فى أول الأمر كلقب ثم صار اسم وظيفة[٢] .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء

(٢) دكتور حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف جـ ١ ص ١٨٨

وفيما يلى قائمة بأسماء من أطلق عليهم أمير الأمراء كلقب أواسم وظيفة :

أمير الأمراء

١ — مؤنس الخادم	١٧ المحـــرم	٣١٧
٢ — طريف السبكرى	أول شعبان	٣٢١
إلى أول ذى القعدة سنة ٣٢١		
وظل المنصب شاغراً فى سنتى ٣٢٢ و ٣٢٣		
٣ — أبو بكر محمد بن رائق	المحـــرم	٣٢٤
٤ — أبو الحسين بجكم الرائقى	ذو القعدة	٣٢٦
٥ — كوركتين الديلمى (مدة شهر)	٣ شوال	٣٢٩
محمد بن رائق (للمرة الثانية)	ذو القعدة	٣٢٩
٦ — ناصر الدولة حسن بن حمدان	أول شعبان	٣٣٠
٧ — المظفر أبو الوفا توزون	رمضان	٣٣١
توفى فى ٢٣ المحرم سنة ٣٣٤		
٨ — أبو جعفر بن يحيى بن شيرزاد	٢٣ المحرم	٣٣٤
إلى ١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤		

(من البيت البويهى)

٩ — معز الدولة	١٢ جمادى الأولى	٣٣٤ هـ

وكان أول من تلقب بأمير الأمراء مؤنس الخادم قائد حرس الخليفة المقتدر بالله[١]، وكان مملوكا طواشيا. وقد ترك له المقتدر تصريف كل أموره، وصار بحق صاحب السلطان الفعلى فى الدولة . وعزل مؤنس الخليفة المقتدر

(١) Hitti, History of the Arabs, p. 469.

سنة ٣١٧ هـ حين بلغه أنه يعتزم تلقيب هارون بن غريب بأمير الأمراء ثم تراءى له بعد ذلك أن يعيده إلى الخلافة ، وأخيراً تخلص من المقتدر كما تخلص أيضاً من القاهر بسمله .

وحين ولى الراضى بالله الخلافة فى ١٩ ذى الحجة سنة ٣٢٤ هـ (٩ نوفمبر ٩٣٦ م) اضطر أن يستدعى محمد بن رائق أمير واسط إلى بغداد حيث عينه فى وظيفة أمير الأمراء التى صارت منذ ذلك الوقت أعلى وظائف الدولة . وأسند الخليفة الراضى إلى محمد بن رائق إمرة الجيش ، وولاه خراج جميع البلاد الإسلامية فى الخلافة العباسية ، وأمر أن يخطب باسمه على المنابر ، وصار إليه أمر التصرف فى جميع الأمور بما فى ذلك الأموال

وكف ابن رائق يد الخليفة الراضى عن بيت المال وبذلك صار الخلفاء بحاجة إلى الراتب الزهيد الذى كان قد فرض لهم .

وبظهور وظيفة أمير الأمراء ذهبت أهمية الوزراء — كما سبق أن قدمنا وفى الوقت نفسه فقد الخليفة أهميته السياسية كوال لحساب أمير الأمراء .

وفى عهد الخليفة المتقى بالله (٣٢٩ - ٣٣٢ هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤ م) استفحل نفوذ بنى حمدان : فلقب المتقى ناصر الدولة رأس الأسرة بأمير الأمراء فى سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) ، ووافق أن ينقش هذا اللقب على النقود[1]. غير أن الأتراك لم يلبثوا أن تصدوا لهذا الوالى العربى ، فنشبت الحروب بينهم وبينه ، واستطاع توزون التركى أن يخرج بنى حمدان من بغداد. وتقلد إمارة الأمراء ولما مات توزون فى سنة ٣٣٤ هـ تولى إمارة الأمراء تركى آخر هو ابن شيرزاد .

(١) الكرملى : النقود ص ١٢٦ و ١٣١ .

وفى جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ (ديسمبر ٩٤٥م) أثناء خلافة المستكفى دخل أحمد بن بويه بغداد حيث عينه الخليفة فى وظيفة أمير الأمراء .

وظل لقب أمير الأمراء متوارثا فى بنى بويه الذين تلقبوا جميعاً بهذا اللقب فيما عدا عماد الدولة . غير أن هذا اللقب فقد أهميته كاسم وظيفة وصار مجرد لقب فخرى منذ سنة ٤١٢ هـ : إذ اتخذ سماء الدولة سيد همدان وأصبهان هذا اللقب دون أن يذهب إلى بغداد قط .

وقد عرف هذا اللقب فى الدولة الفاطمية وفى شمال أفريقية ، واستعمل فى مصر فى العصر العثمانى . كما استخدم فى العالم الاسلامى أحياناً بصيغة «أمير أميران» (١) وأميران لفظة فارسية معناها أمراء .

وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهـــر فى صقلية فى عصر النورمان وظيفة أميراتوس أميراتوروم Ammiratus Ammiratorum أى أمير الأمراء وكانت تعتبر أعلى وظيفة فى المملكة .

وفى عهد إمارة الأمراء تدهورت الدولة من الناحية السياسية : إذ أصبحت أشتاتاً وانقسمت إلى ولايات يحكمها أمراء يستبد كل منهم بحكم ولايته ، وقد وصف ابن الأثير الدولة فى عهد الراضى وما انتابها من تمزق فقال إنه: كانت بغداد وأعمالها فى يد الخليفة اسما وجميعها لأمير الأمراء فعلا، وكانت البصرة لابن رائق ، وخوزستان للبريدى ، وفارس لعماد الدولة بن بويه وكرمان لأبى على محمد الياس ، والرى وأصبهان والجبل لركن الدولة بن بويه ووشمكير أخى مرداويج يتنازعان عليها ، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة لبنى حمدان ومصر والشام للإخشيد ، وخراسان لنصر بن أحمد بن سامان ، وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ، والبحرين واليمامة لأبى طاهر القرمطى .

---

(١) أبو شامة : كتاب الروضتين جـ ١ ص ١٠٩ .

ومما زاد الطين بلة أن كانت الحروب الداخلية أشبه بسلسلة متصلة الحلقات . وقد أدت هذه المشاحنات والفتن إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية حتى عجز الخليفة عن دفع أرزاق الجند فعملوا على إثارة القلاقل والفتن واضطر أمير الأمراء إلى التحايل على توفير الأرزاق لهم فصادر الأموال لاسترضائهم ، وفرض أموالا كثيرة على الكتاب والعمال والتجار وغيرهم مما أدى إلى هرب الكثيرين منهم من بغداد .

ونظراً لسوء الأحوال وعدم استقرار الأمن وضياع هيبة الحكومة كثرت اللصوص ببغداد ، وهوجمت بيوت الأغنياء ، وقطعت الطرق . وحدث فى سنة ٣٣١ ﻫ أن قلت الأقوات وغلت الأسعار حتى مات الناس جوعاً وانتشر الوباء .

هذا وقد زاد من التدهور فى الدولة قيام حركتين خطيرتين هما حركة الزنج والقرامطة .

الزنج :

نسبت هذه الثورة إلى طائفة من العبيد من زنوج أفريقية ومن ثم سميت بثورة الزنج . وادعى زعيم هذه الحركة (وكان يسمى بهبوذ) أنه على ابن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب(١) . ونشر صاحب الزنج دعوته بين العبيد الذين كانوا يعملون فى حمل السباخ فى المستنقعات الممتدة بين البصرة وواسط ، وكانوا فى حالة سيئة : إذ كانوا لا يقتاتون إلا بقليل من الدقيق والتمر والسويق . وقد حرضهم زعيمهم على الخروج على أسيادهم ، والتمرد من الرق معتمداً على قول الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم

(١) محمد الخضرى : المرجع السابق ص ٣٠٢

الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقد أول صاحب الزنج هذه الآيات بأن الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم فلا يجوز رقهم .

وادعى صاحب الزنج النبوة ، والعلم بالغيب ، وزعم أن العناية الإلهية أرسلته لإنقاذ الزنج مما يعانونه من البؤس وبالرغم من إدعائه الأنتماء إلى على بن أبي طالب فإنه جهر بعقائد الخوارج وربما لجأ إلى ذلك لأن مبادىء الخوارج أكثر ملاءمة لأنصاره . ومن هنا يتضح السبب في عدم ارتباط القرامطة بالزنج .

ولقيت دعوة صاحب الزنج قبولا لدى عبيد هجر والبحرين والعراق . وسار إلى بغداد سنة ٢٥٤ هـ ، وأقام هناك سنة « فزعم بها أنه ظهر له آيات عرف بها ما في ضمائر أصحابه » .

ولما قدم البصرة انضم إليه غلمانها رغبة في التخلص من الرق، وساومه مواليهم ليسلمهم إليهم مقابل خمسة دنانير لكل عبد ، ولكنه أمر أتباعه بضرب كل من قدم إليه من الأسياد أو وكلائهم خمسمائة سوط .

واتخذ مركزاً له مدينة سماها المختارة وكان يخطب فيها فيذكر غلمانه بما كانوا فيه من شقاء ، ويمنيهم بما سيتمتعون به من نعيم إذا تبعوه وأخلصوا في طاعته . وكان يسب في خطبه عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة .

واتخذ صاحب الزنج أحـــد غلمان الزنج قائداً له واسمه ريحان ابن صالح[1] .

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٤ .

وانتشرت جيوشه فى العراق وخوزستان والبحرين وهاجموا الحجاج واستولوا على مجموعة من السفن كانت تحمل بعض الحجاج إلى مكة .

وتصدى خلفاء بنى العباس للزنج فأنفذ إليهم المهتدى (٢٥٥-٢٥٦ هـ) جيشاً بقيادة قائد تركى ثم سير المعتمد (٢٥٦ هـ - ٢٧٩ هـ) جيشاً آخر بقيادة جعلان التركى ولكن دون جدوى . وازداد خطر صاحب الزنج فاستولى على مدينة الابلة على مقربة من الخليج العربى وشط العرب حيث يتفرع دجلة والفرات ، ودخل الأهواز واستولى على البصرة سنة ٢٥٧ هـ وخربها ، ثم دخل الزنج واسط .

وبالرغم من الجيوش التى وجهها إليه المعتمد بقيادة عظماء قواده أمثال موسى بن بغا فإن حظ الزنج أخذ فى الازدياد مما اضطر المعتمد إلى الاستنجاد بأخيه الموفق لقتالهم .

ومع ذلك فقد استمرت الزنج فى غزو العراق وخوزستان والبحرين للسلب والنهب .

واضطر الموفق إلى التفرغ لمقاتلة صاحب الزنج فتوجه إلى واسط فى سنة ٢٦٧ هـ وأحرز بعض الانتصارات ، ثم أجلى الزنج عن الأهواز ، وحاصر مدينتهم المختارة ، واستطاع أن يدخلها ، فطلب زعماء الزنج الأمان . وانتهى الأمر بقتل زعيمهم فى سنة ٢٧٠ هـ وهكذا انتهت ثورة الزنج بعـــد أن ظلوا نحو ١٤ سنة يعيثون فى الأرض فساداً ويهددون الخلافة العباسية[1] .

القرامطة :

القرامطة طوائف ظهرت فى العالم الإسلامى منذ أواخر القرن الثالث الهجرى (٩ م) واستمرت إلى القرن الخامس (١١ م) .

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٥

واعتنقت هذه الطوائف مبادىء دينية واجتماعية وسياسية متطرفة مثل « الإباحة » أو الحرية الجنسية المطلقة ، وأباحة دماء مخالفيهم ولو كانوا من المسلمين وعاث القرامطة فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى فساداً ، واستطاعت بعض طوائفهم أن تثبت أقدامها فترات من الوقت فى أقطار إسلامية مثل جنوب العراق وسورية واليمن والبحرين ، وبقى بعض أتباعهم حتى وقت قريب فى بلاد اليمن ، وكانوا يعرفون بالمكارمة أو الباطنية . وادعى القرامطة انتماءهم إلى الشيعة وقبل أن يتم انتظامهم ساهموا فى ثورة الزنج فى البصرة .

وينتسب القرامطة إلى أول زعمائهم حمدان قرمط[1] ، وكان أصله من خوزستان وكان فلاحا فى سواد العراق وانضم إلى عبدالله بن ميمون القداح وصار من غلاة دعاته ، وكان يشتغل بالتنجيم ، وبدأت آراؤه تظهر فى سواد الكوفة فى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٢م) ، وبعد أن كثر أتباعه اتخذ لدعوته مركزاً بالقرب من الكوفة سماه « دار الهجرة » وكان كثير من أتباعه من أهل البلاد الأصليين من الفلاحين والصناع المعروفين فى المصادر العربية بالنبط ، ودخل فى دعوته عدد من العرب فاشتدت مناعته .

وكانت هذه الحركة فى الأصل منظمة سرية ذات صبغة اشتراكية وكان يفرض على من ينضم إليها أن يتكرس رسمياً . وكان للهيئة كلها أرزاق جارية من ثروة مشتركة مما يؤديه الأعضاء تبرعا فى الظاهر ولكنه فى الحقيقة سلسلة من الضرائب التصاعدية .

وكانوا يفسرون القرآن تفسيراً رمزياً يتكيف تبعا لمقتضيات كل الأديان والأجناس . وكانوا يشددون على التسامح والمساواة ، ويجعلون الصناع والعمال صنوفا لها مراسيم كمراسيم النقابات فى العصر الحديث . وقد وصف هذه التنظيمات ذات الطابع النقابى أخـــوان الصفا فى رسائلهم . ويرى

---

(1) Hitti, History of Syria, P. 560.

ماسينيون أن حركة هذه التنظيمات اتصلت بالغرب فأثرت في تكوين نقابات فيه وكذلك الماسونية .

ولما رأى القرامطة أن أهل السواد لاطائل وراءهم سعوا لنشر دعوتهم بين أعراب الكوفة من أسد وطيء وتميم وغيرهم ، ولكن هؤلاء لم يستجيبوا لهم . وأخيراً نجحوا في آخر سنة ٢٨٩ هـ في استمالة جماعة من كلب كانت تتحكم في طريق القوافل بين الكوفة ودمشق ، وتحمل الرسل وأمتعة التجار على إبلها .

ونظراً لازدياد خطرهم وجه إليهم الخليفة المعتضد جيشاً بقيادة سبك الديلمي فتصدى له القرامطة عند الرصافة بقيادة زعيمهم يحيي بن زكرويه — وكان يلقب بالشيخ ، وهزم الجيش العباسي ، وقتل سبك . وحرق القرامطة مسجد الرصافة ثم اتجهوا إلى الشام ، وأخذوا يخربون البلاد وهم في طريقهم ، ثم حاصروا دمشق . وكان يلي الشام في ذلك الوقت طغج بن جف[1] من قبل هارون ابن خمارويه ، فأنفذ إليه بدرا الكبير غلام أحمد بن طولون فاجتمع مع طغج على حرب القرامطة ، والتقى الجيشان بالقرب من دمشق ، وقتل في المعركة يحيي القرمطي ولكن لم تلبث أن أسفرت المعركة عن فوز القرامطة .

وولى القرامطة عليهم الحسين بن زكرويه أخا يحيي ، فأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آية له فلقب ذا الشامة ، وتابع القرامطة انتصارهم : فاستولوا على حمص وغيرها من أرض الشام ، وتسمى الحسين بن زكرويه بأمير المؤمنين ، وخطب له بذلك على المنابر في سنة ٢٨٩ هـ و ٢٩٠ هـ .

وكان ابن زكرويه شديد القسوة على أعدائه فكان يكثر القتل في كل بلد يستولي عليها ، ويقال أنه كان لا يترك أحداً حتى صبيان المكاتب ، وقد قتل أهل سلمية حتى أنه لم يبق بها أحد .

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ص ٥

وإزاء ذلك استنجد أهل الشام بالخليفة المكتفي ، فخرج بنفسه إلى الشام عن طريق الموصل ، وقدم بين يديه جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف فارس بقيادة أبي الأغر ففاجأهم القرامطة بالقرب من حلب ، وفر أبو الأغر مع ألف من رجاله إلى حلب . وسار المكتفي حتى نزل الرقة ، ومنها وجه جيشاً كبيراً بقيادة محمد بن سليمان الكاتب لمنازلة القرامطة . والتقى الجيش العباسي مع القرامطة على بعد ١٢ ميلا من حماه ، وانتصر العباسيون على القرامطة ، وتمكن يحيى ذو الشامة من الهرب ، غير أنه قبض عليه بالقرب من الفرات ، وسيق إلى المكتفي . وفي المحرم سنة ٢٩١ هـ أدخل ذو الشامة الرقة مشهوراً، ثم حمل بعد ذلك إلى بغداد[1] .

ومع ذلك استمر خطر القرامطة بالشام : إذ استطاع أحد دعاتهم واسمه عبدالله بن سعيد (وقد تسمى نصراً) أن يستميل إليه بعض أحياء كلب وطوائف من أعراب البادية وأخذ يغير بهم على بعض جهات الشام : فأغار على بصرى وأذرعات وهدد دمشق ، ثم خرب هيت . وأنفذ الخليفة إليهم جيوشه فما كان من بني كلب إلا أن قتلوا نصراً وتقربوا برأسه إلى الخليفة ، أما باقي القرامطة فقروا إلى البادية .

ثم اتصل بهم داعية آخر اسمه القاسم بن أحمد وأغاروا على الكوفة سنة ٢٩٣ هـ ، ثم هزموا جند الخلافة ، وحينئذ خرج زكرويه أبو يحيى من مخبئه وكان مستتراً فسار معهم وهو محتجب لا يبرزونه ـ وكانوا يدعونه السيد ـ وأخذ القاسم يتولى الأمور دونه ويمضيها ، وجعلوا عقر أعمالهم الصحراء .

وفي سنة ٢٩٤ هـ أغاروا على قوافل الحج العائدة من مكة إلى المشرق وخراسان والعراق وقتلوا الجميع ، ونهبوا أموالهم . فأرسل إليهم الخليفة

---

(١) د الخضري : المرجع السابق ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

جيشاً إلى جادة مكة فهزمهم وأسر زكرويه وخليفته وجماعة من خاصته ، وهرب بعض القرامطة فلقيهم الحسين بن حمدان فأوقع بهم . أما زكرويه فمات بعد خمسة أيام من أسره .

وهكذا ضعف سلطان هذه الطائفة بالعراق والشام ، غير أنه كان حمدان قرمط قد أرسل فى سنة ٢٨١هـ (٨٩٤م) إلى البحرين أحد دعاته واسمه أبو سعيد الحسين بن بهرام الجنابى واستطاع هذا الداعية أن يؤسس ولاية للقرامطة فى إقليم على الشاطىء الغربى للخليج العربى[1] ، واتخذ فى الأحساء عاصمة سماها المؤمنية ، وشكل هيئة حاكمة من ستة أفراد .

واستولى أبو سعيد على اليمامة فى سنة ٢٩٢هـ (٩٠٢م) كما غزا عمان فى جنوب شرق بلاد العرب . ثم قتل أبو سعيد سنة ٣٠١هـ ، وخلفه ابنـــه أبو طاهر سليمان ، واستفحل خطر قرامطة البحرين فى عهد أبى طاهر سليمان : فقاموا بغزوات اعملوا فيها كثيراً من التخريب فى جنوب العراق ، كما قطعوا طريق الحج ، وبلغ خطرهم الكوفة . وكانت الطامة الكبرى فى سنة ٣١٧ هـ (٩٣٠ م) حين استولى أبو طاهر سليمان القرمطى على مكة ، ونكل بأهلها وزوارها ونهب أموالهم[2] . ويقال إن القرامطة الذين غزوا مكة قتلوا ما يزيد على ثلاثين ألفاً من المسلمين ودفنوا بعضهم فى بئر زمزم وفى المسجد الحرام . وقد زاد بغى سليمان القرمطى واشتد اعتداده بنفسه حتى أنه يقال إنه ركض بفرسه ، وهو سكران ودخل المسجد الحرام ، وتقدم إلى المطاف ، وطلع إلى باب الكعبة وأخذ يقول :

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

---

(١) المرجع نفسه ص ٢١٩

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٣ .

وخلع القرامطة باب الكعبة وأخذوا الكسوة ، كما قلعوا الحجر الأسود من مكانه بالكعبة ، وأخذوه معهم إلى بلاد هجر ، وعرضت الحكومة العباسية على القرامطة إرجاع الحجر الأسود فى مقابل ٥٠ ألف دينار ولكنهم رفضوا وقالوا : « أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر » .

وبقى موضع الحجر الأسود خالياً إلى أن أعاده سنبر بن الحسن القرمطى فى سنة ٣٣٩هـ (٩٥١م) بناء على أمر الخليفة الفاطمى المنصور . وقدم سنبر بالحجر الأسود وقد شد بالفضة حتى لا ينكسر نتيجة ما حدث به من شقوق أثناء قلعه ، ووضعه سنبر بيده فى مكانه ، وثبته بعض الصناع بجص أحضره معه سنبر نفسه . ويقال إن سنبر قال فى هذه المناسبة : « أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله » ، وكانت فرحة المسلمين عظيمة بعودة الحجر الأسود إلى مكانه بالكعبة الشريفة .

وظل القرامطة باقين بعد ذلك إذ نجدهم يهددون الفاطميين فى مصر[1] ويقال إن السر فى بناء الفاطميين لسور القاهرة هو الخوف من تهديد القرامطة .

كما كانوا يهددون الخليفة الفاطمى العزيز فى شرق فلسطين ويعزو البعض الصراع بين القرامطة والفاطميين — رغم القول بانتمائهم إليهم — إلى أن القرامطة كانوا يمثلون العنصر المتحمس فى الدعوة الشيعية ، وأنهم هاجموا الفاطميين بسبب اعتدالهم ومحاولتهم التوفيق بين مبادئهم وبين المجتمع الجديد .

هذا وقد اختفى القرامطة كجماعة مؤثرة فى القرن الخامس الهجرى (١١م) بطريقة لا يزال يكتنفها كثير من الغموض .

---

(١) ابن القلانسى : ص ١٨ — ١٩

وربما كان من عوامل اختفاء القرامطة انهيار الأسس التي كانوا يعتمدون عليها في دعوتهم واجتذاب الأنصار إليهم : ذلك أنهم كانوا يدعون أنهم شيعة[1] ينتصرون للعلويين وينتقمون لهم من أهل السنة ، وقد حدث في النصف الثاني من القرن الخامس أن صار العالم الإسلامي تقريباً في يد طوائف من الشيعة : فكان الفاطميون يحكمون مصر والشام وامتد نفوذهم إلى بلاد العرب ، كما كانت الخلافة العباسية في قبضة بني بويه وكانوا من غلاة الشيعة ، وبالإضافة إلى ذلك انتشر المذهب الشيعي في إيران ؛ ومن ثم انتفت الحجة التي كان يرتكن إليها القرامطة في محاربة غيرهم من المسلمين وفي مهاجمة المدن وسلبها ، وفي قطع طريق الحج وفي الاستيلاء على القوافل : إذ أن ذلك كله صار تحت سلطان طوائف من الشيعة إما من الفاطميين أو من بني بويه .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن القرامطة أعادوا الحجر الأسود إلى مكانه في سنة ٣٣٩ هـ بناء على أمر الخليفة الفاطمي المنصور ، وفي ذلك الوقت كانت الخلافة العباسية في قبضة بني بويه من غلاة الشيعة .

---

(١) Bernard Lewis, The Origins of Ismailism, pp. 19-22.

الفصل الثالث

العصر العباسي الثالث

قيام بنى بويه ودخولهم بغداد :

اصطلح بعض المؤرخين على أن يطلق على العصر الذى شاهد تولى بنى بويه الحكم فى بغداد اسم العصر العباسى الثالث .

وكان بنو بويه من الديلم ، وكان الديلم يقيمون بالجبال الواقعة فى الجنوب الغربى من شاطىء بحر قزوين وكانوا بطبيعتهم ذوى روح حربية ، وكانوا يلقبون بالشياطين البيض . وقد دخل العرب الفاتحون بلادهم فى صدر الإسلام واستولوا على ما يليها من البلاد مثل طبرستان وجرجان وسارية وآمد واستراباذ . ثم دخل الديلم فى الإسلام على مذهب الشيعة على يد الحسن ابن على الملقب بالأطروش الذى جمعهم واستولى بهم على طبرستان فى سنة ٣٠١ هـ ، واستعمل منهم القواد على ثغورها .

ولم تلبث الحروب أن نشبت بين بنى الأطروش وولاة طبرستان وبين السامانيين ولاة خراسان . وخلال هذه الحروب برز شخصيتان من الديلم هما ماكان بن كالى وأسفار بن شيرويه . واستولى ماكان على جرجان ؛ واستولى أسفار على طبرستان ثم امتد نفوذه إلى جهات أخرى غير أنه قتل فى سنة ٣١٦ هـ (١) .

وخلص ملك أسفار لأحد قواده : مرداويج بن زيار الذى دخلت فى

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ص ٤ ص ٤٠٠

حوزته طبرستان وجرجان وهمذان وأصبهان والأهواز ، كما وصل نفوذه نواحى حلوان على حدود العراق . واضطر الخليفة العباسى أن يقلده إمارة الأقطار التى استولى عليها .

وبعد أن استقر الأمر لمرداويج انضم إليه إخوة ثلاثة من الديلم هم على والحسن وأحمد أولاد أبى شجاع بويه وكانوا من قبل قادة فى جيش ما كان ابن كالى الذى سبقت الإشارة إليه . ورحب مرداويج ببنى بويه فى أول الأمر ، وولى على بن بويه بلاد الكرج فأحسن إدارتها . وأخذ على بن بويه يمد نفوذه حتى دانت له شيراز فى سنة ٣٢٢ ه فى خلافة القاهر بالله . وإزاء ذلك خشى مرداويج من ازدياد نفوذ على بن بويه فوجه إليه جيوشه ، واستولى على الأهواز ، غير أن على بن بويه لجأ إلى مراضاة مرداويج ، فبعث إليه بالهدايا ، وأظهر له الولاء ، ووافق على أن يخطب باسمه على المنابر ، بل إنه أنفذ إليه أخاه الحسن بن بويه رهينة عنده كدليل على حسن نواياه قبله[1] .

ثم حدث أن قتل مرداويج فزالت عقبة كانت فى طريق طموح على ابن بويه ، إذ تمهد الطريق أمامه فى سبيل تحقيق مآربه وتوسيع نفوذه ، فاستطاع أن يقضى على مناوئيه ودانت له بلاد فارس ووصله موافقة الخليفة الراضى بالله على إمارته عليها[2] .

وسير على بن بويه أخاه الحسن بعد خلاصه عقب مقتل مرداويج إلى بلاد الجبل فاستولى على أصبهان والرى وهمذان وبقية بلاد العراق العجمى .

---

(١) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة (بغداد ١٩٤٥) ص ٢٤٣ ، ٢٤٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ — ج ٨ — ص ١٠٩ .

كما وجه أيضاً أخاه الأصغر أحمد بن بويه إلى الأهواز فانتزعها من بجكم ثم استولى أيضاً على واسط[1] .

وفى تلك الأثناء كانت الأحوال فى بغداد قد تدهورت بسبب الصراع على إمارة الأمراء ، والحروب بين طوائف الجند من الديلم والترك . وفى غمرة هذه الأحداث استدعى أحمد بن بويه إلى بغداد فزحف عليها . وعجز الجند من الأتراك عن صده ، وهربوا إلى بنى حمدان بالموصل ، واختفى الخليفة المستكفى . وتقدم أحمد بن بويه كاتبه الحسن بن محمد المهلبى إلى بغداد فدخلها . وهدأ من روع الخليفة ، وجدد له البيعة باسم أحمد بن بويه وأخويه على والحسن .

وعلى إثر ذلك دخل أحمد بن بويه بغداد فاستقبله المستكفى ، وخلع عليه ، وولاه إمارة الأمراء ، ولقبه معز الدولة[2] ، ولقب أخاه عليا عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأمر بضرب ألقابهم على السكة[3] .

وبدخول معز الدولة بغداد دخلت الخلافة العباسية طوراً جديداً اصطلح بعض المؤرخين على تسميته بالعصر العباسى الثالث كما سبق أن قدمنا .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء - ص ٢٦٣ .

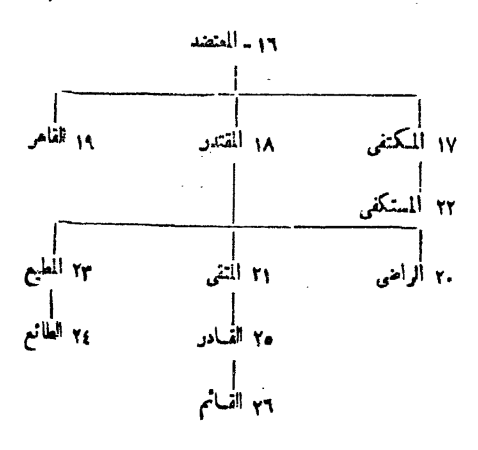
(٢) ابن الأثير الكامل - جـ ٨ ص ١٤٨ .

(٣) Nesselman (G. H. F.) Die Orientalischen Manzen des Akademischen Munzcabinets in Königsberg. Leipzig 1858, p. 110-111.

الخلفاء العباسيون فى عهد بنى بويه :

ولى الخلافة فى هذا العهد خمسة خلفاء هم :

٢٢ ـ أبو القاسم عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى	٣٢٩هـ/٩٤٠م
٢٣ ـ أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر	٣٣٤هـ/٩٤٦م
٢٤ ـ أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع	٣٦٣هـ/٩٧٤م
٢٥ ـ أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحق بن المقتدر	٣٨١هـ/٩٩١م
٢٦ ـ أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر	٤٢٢هـ/١٠٣١م
	٤٦٧هـ/١٠٧٥م



دولة بنى بويه

انقسم بنو بويه إلى أفرع تواونت فترة من الزمن حكم العراق والأهواز وكرمان وفارس والرى وهمذان وأصبهان . وكان أفراد فرع العراق يشغلون منصب إمارة الأمراء . وكان نفوذ أفراد فرع فارس يمتد أحياناً فيشمل بلاد العراق أيضاً .

وفيما يلى قوائم توضح تسلسل كل من هذه الأفرع : -

فى فارس

١ - عماد الدولة (أبو الحسن على)	٣٢٠هـ/٩٣٢ م
٢ - عضد الدولة (أبو شجاع خسرو)	٣٣٨هـ/٩٤٦ م
٣ - شرف الدولة (أبو الفوارس شيرزيد)	٣٧٢هـ/٩٨٢ م
٤ - صمصام الدولة (أبو كالنجار المرزبان)	٣٧٩هـ/٩٨٩ م
٥ - بهاء الدولة (العراق)	٣٨٨هـ/٩٩٨ م
٦ - سلطان الدولة (أبو شجاع)	٤٠٣هـ/١٠١٢م
٧ - عماد الدين (أبو كالنجار المرزبان)	٤١٥هـ/١٠٢٤م
٨ - الملك الرحيم (أبو نصر خسرو فيروز)	٤٤٠هـ/١٠٤٨م
	٤٤٧هـ/١٠٥٥م

فى العراق والأهواز وكرمان

١ - معز الدولة (أبو الحسن أحمد)	٣٢٠هـ/٩٣٢ م
٢ - عز الدولة (بختيار)	٣٥٦هـ/٩٦٧ م
٣ - عضد الدولة (فى فارس)	٣٦٧هـ/٩٧٧ م
٤ - شرف الدولة (فى فارس)	٣٧٢هـ/٩٨٢ م
٥ - بهاء الدولة (أبو نصر فيروز)	٣٧٩هـ/٩٨٩ م
٦ - سلطان الدولة (فى فارس)	٤٠٣هـ/١٠١٢م

ولاياته منقسمة فى العراق

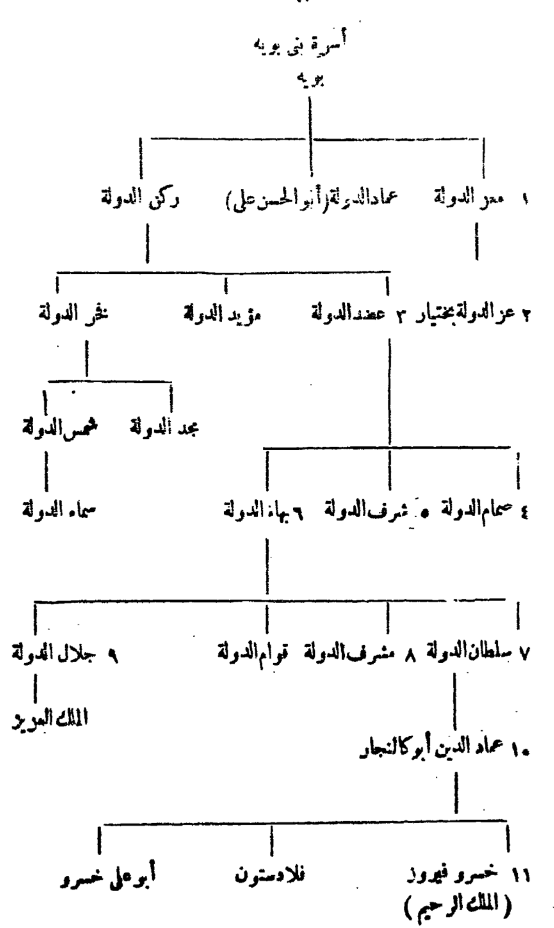
١ ـ مشرف الدولة	٤١١هـ/١٠٢٠م
٢ ـ جلال الدولة	٤١٦هـ/١٠٢٥م
٣ ـ عماد الدين (فى فارس)	٤٣٥هـ/١٠٤٣م
٤ ـ أبو نصر خسروفيروز (فى فارس)	٤٤٠هـ/١٠٤٨م
	٤٤٧هـ/١٠٥٥م

كرمان

١ ـ قوام الدولة (أبو الفوارس)	٤٠٣هـ/١٠١٢م
٢ ـ عماد الدولة (فى فارس)	٤١٩هـ/١٠٢٨م
٣ ـ أبو منصور فلادستون	٤٤٠هـ/١٠٤٨م
	٤٤٨هـ/١٠٥٦م

فى الرى وهمذان وأصبهان

١ ـ ركن الدولة أبو على حسن	٣٢٠هـ/٩٣٢ م
٢ ـ مؤيد الدولة أبو منصور (أصبهان فقط)	٣٦٦هـ/٩٧٦ م
	٣٧٣هـ/٩٨٣ م
٣ ـ فخر الدولة أبو الحسن على (ضم أصبهان سنة ٣٧٣هـ)	٣٣٠هـ/٩٧٦ م
٤ ـ مجد الدولة أبو طالب رستم (عزله محمود الغزنوى)	٣٨٧هـ/٩٩٧ م
	٤٢٠هـ/١٠٢٩م
٥ ـ شمس الدولة أبو طاهر (همذان فقط)	٣٨٧هـ/٩٩٧ م
٦ ـ سماء الدولة أبو الحسن (عزله ابن كاكويه) حوالى	٤١٢هـ/١٠٢١م
	٤١٤هـ/١٠٢٣م


أسرة بنى بويه
بويه
١ معز الدولة
عماد الدولة (أبو الحسن علي)
ركن الدولة
٢ عز الدولة بختيار
٣ عضد الدولة
مؤيد الدولة
فخر الدولة
مجد الدولة
شمس الدولة
سماء الدولة
٤ صمصام الدولة
٥ شرف الدولة
٦ بهاء الدولة
٧ سلطان الدولة
٨ مشرف الدولة
قوام الدولة
٩ جلال الدولة
الملك العزيز
١٠ عماد الدين أبو كاليجار
١١ خسرو فيروز
(الملك الرحيم)
فلادستون
أبو علي خسرو

بنو بويه والخلافة :

جرد بنو بويه الخلفاء العباسيين من نفوذهم تماماً حتى أنه لم يبق لهم من الخلافة إلا مظاهرها[1] . ويبدو أن الخليفة المستكفى — وهو الذى استولى معز الدولة على بغداد فى عهده — حاول أن يقاوم استئثار بنى بويه بالسلطة كلها وكان جزاؤه على ذلك أن سملت عيناه وخلع من الخلافة وولى ابن عمه المطيع خليفة بدلا منه .

وانتهى معظم خلفاء هذا العصر نهاية قريبة الشبه من نهاية المستكفى : إذ نجد أن المطيع يرغم على التنازل عن الخلافة ، ويعقبه الطائع الذى يولى عضد الدولة ماوراء بابه ، وأخيراً يخلع عن عرشه . وقد جرى خلع الطائع بأن تظاهر بعض الديلم بالرغبة فى أن يقبل يد الخليفة ثم جذبه وأنزله عن سريره وهو يستغيث فلا يلتفت إليه أحد . وانتهى الأمر بأن خلع الخليفة نفسه ، وتنازل لأبى العباس أحمد القادر بالله ، وأخذ بهاء الدولة ما فى دار الطائع من ذخائر ، كما امتهن أكثر رجالات دولته من القضاة والأشراف الذين سلبت ثيابهم أثناء مهاجمة الخليفة .

ولم يقف بنو بويه عند حد سلب الخلفاء نفوذهم العام بل إنهم كانوا يتدخلون فى شئونهم ، ومن أمثلة ذلك ما كان من أمر الخليفة القائم الذى كثيراً ما كان يتذمر من جلال الدولة بسبب تدخله فى أموره الخاصة .

وكان من مظاهر استضعاف الخلافة أن استبدل للخليفة عن الوزير بكاتب يدبر أقطاعاته واخراجاته ، وصارت الوزارة للوالى من بنى بويه يستوزر لنفسه من يشاء . وكان معز الدولة قد حدد للخليفة ألف درهم فى

---

(١) أحمد أمين : ظهر الإسلام — جـ ١ — ص ١٥١

اليوم ثم قطعه عنه وحدد له إقطاعات يسيرة يعيش من دخلها[1] .

ومع ذلك فقد حرص بنو بويه على الإبقاء على الخلافة العباسية ومراسمها: فحين منع الجند من الديلم والأتراك الخطبة باسم الخليفة القادر عقب توليه الخلافة تدخل بهاء الدولة وأقنع الجند بالسماح بالخطبة للخليفة بعد أن أجابهم إلى ماطلبوه من رسم البيعة على ماجرت به العادة . وحين خطب قرواش ابن المقلد أمير بنى عقيل بالموصل والأنبار والكوفة للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى أرسل بهاء الدولة جيشاً اضطر قرواش إلى إعادة الخطبة للخليفة العباسى القادر .

وكان بنو بويه يعتزون بمصاهرة الخلفاء العباسيين ، فتزوج الخليفة القادر فى سنة ٣٨٣ هـ من سكينة ابنة بهاء الدولة على صداق قدره مائة ألف دينار ، وتزوجت أخت الملك الرحيم من الخليفة القائم

كما ظل الخلفاء العباسيون فى هذا العصر محتفظين بمراسم الخلافة من الجلوس على سرير الخلافة ، ومن ذكر الاسم فى الخطبة على المنابر ، وضربه على السكة والختم به على الرسائل والصكوك ، ومن الجلوس للوفود ، والإجلال فى التحية والخطاب[2] .

كما استجد فى هذا العصر أن صار يطلق على الخلفاء ألقاب الكناية المكانية التى استعيض فيها عن التفوه باسم الخليفة أو ألقابه المعروفة بذكر مكانه مثل المقامات الشريفة والمجلس والحضرة . ويبدو أن اتخاذ الخلفاء لهذه الألقاب كان من باب التعويض عن النفوذ المفقود أو رغبة فى الاحتفاظ بمراسم الخلافة التى ضاع سلطانها الفعلى[3] .

---

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر - ج ٤ - ص ٤٢٥ .

(٢) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية - ص ١٣٢

(٣) دكتور حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار - ص ١٤ .

ولقد حافظ أحد خلفاء هذا العصر — وهو القادر بالله — على هيبة الخلافة . وقد صنف هذا الخليفة كتابا فى الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث ، وذكر فيه فضائل عمر بن عبد العزيز وهاجم المعتزلة والقائلين بخلق القرآن . وكان هذا الكتاب يقرأ كل جمعة فى حلقة أصحاب الحديث بأحد الجوامع ويحضر الناس سماعه .

واستطاع القادر أيضاً أن يولى ابنه القائم العهد من بعده فى سنة ٤٢١ ه أى قبل وفاته بعام .

بنو بويه ومراسم التكريم :

كان من مظاهر استئثار بنى بويه بالسلطة أن أضفى عليهم كثير من مراسم التكريم كالألقاب والخلع وغير ذلك .

فن حيث اتخاذ الألقاب ظل بنو بويه يستعملون لقب أمير الأمراء لمن يستبد بأمر بغداد ، وحينما استفحل نفوذهم صار نائب الخليفة يدعى رئيس الرؤساء[1] . وظهر فى عهدهم ألقاب جديدة مضافة إلى الدولة وإلى الملة ، كما أضفى الخليفة عليهم كثيراً من ألقاب التشريف ، ولقد سبقت الإشارة إلى تلقيب أحمد بن بويه بمعز الدولة ، وعلى بن بويه عماد الدولة ،والحسن بن بويه ركن الدولة كما لقب أفراد الأسرة بعد ذلك بألقاب مضافة إلى الدولة . ولقب الطائع أبا نصر بهاء الدولة وضياء الملة ، ثم أضاف القائم إلى ألقابه قوام الدين صفى أمير المؤمنين . كما خوطب عضد الدولة بالملك ، ويقال إنه كان أول من خوطب بهذا اللقب فى الإسلام . وتلقب أبو منصور فيروز بن جلال الدولة بلقب الملك العزيز ، وتلقب أبو نصر بالملك الرحيم ،

(١) ابن حجر : نزهة الألباب فى الألقاب — مخطوط ٢٩ وجه

وأطلق لقب شاهنشاه على أبي شجاع فناخسرو[١] ، وعلى بهاء الدولة أبي نصر خسرو فيروز وعلى عز الملوك أبي كالنجار المرزبان ابن سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو .

وربما جاء استخدام لقب « شاهنشاه » الفارسي — ومعناه ملك الملوك — تبعاً لعادة اتخاذ الدولة العباسية — لا سيما في هذا العصر — كثيراً من التقاليد الفارسية .

هذا وقد ورد هذا اللقب في طراز قطعة من النسيج من العراق باسم بهاء الدولة أبي نصر خسرو فيروز[٢] .

وذكر ابن الأثير[٣] ان جلال الدولة التمس من القائم بأمر الله أن يخاطب بملك الملوك ولكن الخليفة رفض بحجة مخالفة ذلك لتعاليم الدين ، فاستفتى جلال الدولة الفقهاء فأفتوا بجوازه ، وعارض أبو الحسن الماوردى فاستند جلال الدولة إلى فتوى من افتى بالجواز ، وأمر بأن يخطب له بملك الملوك . هذا وقد أطلق اللقب نفسه أيضاً على آخرين من بني بويه مثل بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة ، والملك الرحيم أبي نصر .

وخص الخلفاء بني بويه بكثير من شعائر التكريم فمنذ البداية ضرب المستكفي ألقاب بني بويه : معز الدولة وعماد الدولة وركن الدولة على السكة كما سبق أن قدمنا ، كما عقد الخليفة الطائع الخلع السلطانية على عضد الدولة في سنة ٣٦٧ هـ ، وتوجه وطوقه وسوره وعقد له لواءين بيده ، وأمر أن

---

(١) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, V. No, 1831.

(٢) Ibid. No 1956

(٣) الكامل في التاريخ — ج ٩ ص ١٧١

يخطب له بألقابه على المنابر ، كما أمر أن يضرب على بابه بالدبادب فى أوقات الصلوات الخمس . وخلع الطائع على ابن كالنجار المرزبان ابن عضد الدولة الخلع السبع : وهى عبارة عن سبع جباب كاملة ، وألبسه العمة السوداء وسوره وطوقه وتوجه وعقد له لواءين كما حمل على فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه مثله ، وقرىء عهده بتقليده الأمور فيما بلغت الدولة من جميع الممالك ... وجددت له البيعة ، وأطلق رسومها وأقيمت الدعوة وغيرت السكة . وبعد أن دخل أبو كالنجار بغداد أمر بضرب الدبادب على داره فى أوقات الصلوات الخمس ؛ ولما أمر الخليفة بقصرها على ثلاثة لم يحفل أبو كالنجار بأمر الخليفة . ولما ولى أبو نصر الملك الرحيم العراق وخوزستان والبصرة خلع عليه الخليفة القائم خلعة السلطنة وكانت سبع جباب كاملة كما سبق أن قدمنا والتاج والطوق والسوارين واللوائين .

الصراع المذهبى :

كان التشيع هو المذهب القوى الديلم ، وكان بنو بويه بصفة خاصة غلاة فى التشيع : فكان جلال الدولة مثلا يكثر من زيارة مشهدى على بن أبى طالب والحسين ، وكان يمشى حافيا مسافة طويلة قبل أن يصل إلى كل مشهد .

ومن ثم حاول بنو بويه صبغ دولتهم بالطابع الشيعى . فأعلنوا التنديد بمن اعتبرهم الشيعة مسيئين إلى آل البيت ، كما دعوا إلى الاحتفال بأعياد الشيعة مثل عيد الغدير ، وإظهار الحزن فى يوم عاشوراء .

وكان من جراء ذلك أن زاد نفوذ العلويين والشيعة مما أدى إلى احتدام الصراع بينهم وبين أهل السنة ، وكان هذا الصراع يصل أحياناً إلى حد الفتن والاعتداءات : فقامت الثورات من حين إلى حين بين السنيين والشيعة

فى بغداد وغيرها من أمهات مدن العراق : فمثلا فى سنة ٣٨٩ هـ قامت بين الشيعة والسنيين فى بغداد ثورة كاد يقتل فيها أبو حامد الأسفرايني أحد أئمة الدين ، وتعصب أهل الشيعة فى بغداد للخليفة الحاكم الفاطمى ويقال إنهم أخذوا يصيحون : ياحاكم يامنصور [1] .

ومن الملاحظ أنه كان لموقف بنى بويه من التشيع أثران متعارضان : أما الأثر الأول فهو تشجيع المذهب الشيعي ونشره مما أدى إلى زيادة نفوذ الفاطميين الذين تسنى لهم فى هذا العصر الاستيلاء على مصر ومد نفوذهم إلى الشام والحجاز ، كما انتشر التشيع فى إيران .

أما الأثر الآخر فهو المحافظة على الدولة العباسية بمذهبها الرسمى السنى وصمودها إزاء الأخطار الشيعية : ذلك أن وجود بنى بويه المتشيعين فى السلطة واستبدادهم بأمور الخلافة العباسية أدى إلى الإبقاء على هذه الخلافة التى كانوا يحكمون باسمها وفى ظلها .

ويقال إن معز الدولة عزم فى أول إمرته أن يحول الخلافة إلى العلويين غير أنه رجع عن ذلك خوفا من أن يؤدى وجود خليفة علوى إلى الانتقاص من سلطانه هو نفسه .

ومن ثم فلا عجب أن تجد العلويين فى بغداد يشتركون مع السنيين فى توجيه أعنف طعنة أدبية إلى الدولة الفاطمية : إذ حدث فى سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ م) أن كتب ببغداد محضر بأمر الخليفة القادر وقع عليه جماعة من أعيان السنة والشيعة أعلنوا فيه أن الأسرة الفاطمية أسرة مدعية ولا تمت بأية صلة إلى آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن الخليفة الفاطمى وكان حينئذ الحاكم بأمر الله — هو من نسل ديصان بن سعيد الخارجى — ولقد

---

(١) المنصور هو اسم الخليفة الفاطمى الملقب بالحاكم .

كان هذا المحضر مدعاة لإثارة الشك حول نسب الفاطميين : ذلك الشك الذى ظل يلازمهم حتى اليوم [١] .

كما كان بنو بويه على استعداد على أن يدافعوا عن الخلافة العباسية بحد السيف . وقد سبقت الإشارة إلا أنه حين خطب قراوش بن المقلد أمير بنى عقيل للحاكم بأمر الله أرسل إليه بهاء الدولة جيشاً أرغمه على إعادة الخطبة للخليفة العباسى .

غير أنه فى أواخر عهد بنى بويه حدث تحول فى هذه السياسة : إذ نجد أبا كاليجار بن سلطان الدولة (٤٣٥ — ٤٤٠ هـ) يتحول إلى المذهب الاسماعيلى وهو مذهب الدولة الفاطمية الذى كان قد انتشر أيضا بين الديالمة فى فارس .

وربما كان تحول أبى كاليجار إلى مذهب الدولة الفاطمية من باب الاستعانة بها ضد أعدائه من السلاجقة السنيين الذين كان نفوذهم قد أخذ فى التصاعد فى إيران بحيث صاروا تهديداً خطيراً لسيادة بنى بويه .

ويرى البعض أن بنى بويه قد اتخذوا من التقرب إلى الفاطميين وسيلة لتهديد الخلفاء العباسيين حتى لا ينحازوا إلى السلاجقة .

وأيا ما كان الهدف من هذه السياسة فمن الملاحظ أنها كانت من أسباب القضاء على بنى بويه .

وضع الأتراك والديلم :

كان من الطبيعى أن يتألف الجيش البويهى فى أول الأمر بصفة أساسية من الديلم . وربما دخل معز الدولة بغداد انتصاراً لبنى جلدته من الديلم

---

(١) أبو الفدا جـ ٢ ص ١٥٠ .

الذين كانوا فى صراع مع الأتراك فى بغداد : ذلك الصراع الذى كان من أحداثه أن انتصر كورتمكين قائد الديلم ، وتولى إمارة الأمراء فى ٣ شوال سنة ٣٢٩ هـ[1] . غير أنه لم يمكث فى هذا المنصب غير شهر واحد إذ لم يلبث أن انتصر الأتراك على الديلم .

وكان دخول معز الدولة بغـــداد إيذاناً بتفوق نفوذ الديلم غير أن معز الدولة خشى بعد استقرار الأمر له فى بغداد من سطوة الديلم واعتزازهم بقوتهم وانفرادهم بالسلطة الحربية ، فقرب إليه الأتراك وضمهم إلى جيشه : وهكذا سارت سياسته على الموازنة بين الديلم والأتراك .

وكان من جراء هذه السياسة أن احتفظ بنو بويه بسلطانهم ، ولكنها فى الوقت نفسه أدت إلى الصراع بين طائفتى الجند من الأتراك والديلم مما أضعف من قوة الجيش البويهى بصفة عامة فى آخر الأمر .

وكان يحدث أحياناً أن يزداد نفوذ الأتراك فيسببوا قلقاً كبيراً فى الدولة ولا سيما عند ضعف الأمراء من بنى بويه ، فحينما تولى مشرف الدولة الإمارة وهو فى الثامنة عشرة إزداد نفوذ الأتراك حتى أنه هرب هو ووزيره وجماعة من مقدمى الديلم فى سنة ٤١٥ هـ إلى قرواش بن المقلد العقيلى ولم يعد إلى بغداد إلا بعد أن أمنوه واستوثق منهم .

وفى سنة ٤١٩ هـ ثار الأتراك على جلال الدولة[2] ببغداد ، ونهبوا داره ودور أنصاره من الديلم ، كما نهبوا صياغات كان جلال الدولة قد أخرجها لتضرب دنانير ودراهم ، وبلغ من قوتهم أن حاصروا دار جلال الدولة ومنعوا عنه الطعام والماء حتى اضطر أهل بيته إلى الشرب من ماء البئر وإلى

---

(١) محمد الخضرى : المرجع السابق ص ٣٦٩ .

(٢) المقريزى : السلوك ص ٢٩

أكل ثمار البستان . ولم يرفع الأتراك الحصار عن الدار إلا بعد أن أصلح الخليفة بينهم ولكنهم لم يلبثوا أن عادوا إلى الشغب مما اضطر جلال الدولة إلى بيع فرشه وثيابه وخيمه وتوزيع ثمنها عليهم . وصارت الحروب بين الأتراك والديلم لا تكاد تنقطع فى السنين الأولى من حكم جلال الدولة ، وبلغت الفوضى ذروتها فى بغداد بعد سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣٢ م) حتى أرغم جلال الدولة على الهرب من بغداد ثلاث مرات خوفاً على حياته .

وكثيراً ما كان التنافس بين الأتراك والديلم من عوامل الصراع بين أفراد أسرة بنى بويه إذ كانت تنضم طائفة منهم إلى أحدهم فى حين تنضم الطائفة الأخرى إلى الآخر : كما حدث مثلا فى الحرب بين بهاء الدولة وبين ابنى بختيار حين انضم الديلم إلى ابنى بختيار وانضم الأتراك لبهاء الدولة .

هذا وقد كانت مناوأة أبى الحارث البساسيرى[1] أحد القواد الأتراك فى جيش بنى بويه للخليفة القائم من أهم العوامل التى عجلت بسقوط بنى بويه .

وإذا كان بنو بويه قد اعتمدوا فى جيشهم على الأتراك والديلم دون العرب فإن العرب كان لهم دورهم فى جيوش بنى حمدان أمراء الموصل وحلب الذين حملوا عبء الجهاد ومناجزة البيزنطيين فى هذا العصر .

إدارة الدولة وبداية نظام الإقطاع :

بعد أن استولى معز الدولة على بغداد أخذ يقطع قواده ومواليه القرى كأرزاق عوضاً عن المرتبات النقدية ، وبذلك بدأ نظام الإقطاع الإسلامى الذى استقر بعد ذلك فى عهد السلاجقة . وكان لهذا النظام مساوئه فى عهد بنى بويه : إذ أخذ كل مقطع يعنى بما تحت يده فقط ومن ثم عجز صغار المقطعين عن توفير ما يلزم لإقطاعهم من مياه الرى نظراً إلى أن تحقيق

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ص ٢٥٣

ذلك يتوقف على مد القنوات إلى أراضيهم وصيانتها مما لا يتأتى إلا عن طريق سلطة مركزية قادرة . ومن هنا خرب ما كان بأيدى العامة وصغار الأتباع من الأراضى وذلك لإهمال الرى وعدم تطهير القنوات بالإضافة إلى فداحة الضرائب وتغير المتنفعين وكثرة المصادرات[1] .

ومن جهة أخرى عجز عمال الخراج عن أن يحصلوا من القواد وذوى العصبية على المستحق عليهم من الضرائب لتهربهم من الدفع اعتماداً على قوة نفوذهم ، وكان من جراء ذلك أن ارتفعت عن إقطاعات هؤلاء القادة أيدى العمال وبطلت الدواوين ، كما كان يحدث أحياناً أن يتهاون بعض ذوى النفوذ فى العناية بإقطاعه حتى يخرب فيرده ويطلب غيره وهكذا .

وإزاء ذلك جدد معز الدولة على قواده والمقربين إليه أن يعنوا بإقطاعاتهم ، وأن يؤدوا المستحق عليها من الأموال . ومع ذلك كانت الجبايات تتقرر على هؤلاء حسب اقتراحاتهم هم أنفسهم ، ولم يكن أهل الدواوين يجرءون على مراجعتهم أو محاسبتهم ، وبذلك نقصت أموال الدولة مما اضطر معز الدولة إلى أن يلجأ إلى المكوس والمصادرات .

ومع ذلك فقد كان بعض أمراء بنى بويه على مستوى لا بأس به من حسن الإدارة .

وقد اشتهر عن عضد الدولة[2] حسن سياسته للأمور كما عمل شرف الدولة على تحقيق العدل بين الناس ورفع المصادرات وإبطال أسبابها وعدم الأخذ بالوشايات ، كما وجه عماله إلى إصلاح ولاياتهم وتعميرها وعمل على توفير

---

(١) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى (ترجمة رياض رأفت ـ مصر ١٩٣٨) ص ٢٧٤ .

(٢) المقريزى : سلوك ص ٢٨ .

الأقوات بأن رتب نقل الغلات من بلاد فارس عن طريق البحر وجد فى حلها من كل بلد تزيد فيه عن حاجته . ومع ذلك فقد عرف عن أمراء بنى بويه كثير من النقائص كان لها صداها فى سوء أحوال دولتهم فى كثير من الأحيان وربما كانت فى النهاية من أهم عوامل القضاء على حكمهم . وكان بختيار أول من انصرف منهم إلى اللهو كما أغرم بالنساء . وكان عضد الدولة - رغم حسن سياسته - سفاكا للدماء يغدر بمن أمنه ، مدلا بنفسه، معتزاً بقوته . كما اشتهر جلال الدولة بالضعف وسوء التدبير، وانغمس ابنه الملك العزيز فى الملذات ، واشتغل أبوكالنجار باللهو والشراب .

وقد أورد السيوطى[1] قصة تدل على الفساد الذى انحدر إليه بعض أمراء بنى بويه إذ حدث فى سنة ٣٦٥ هـ ، أن كانت وقعة بين عز الدولة (بختيار) وعضد الدولة أسر فيها غلام تركى لعز الدولة فجن عليه واشتد حزنه وامتنع عن الأكل وأخذ فى البكاء واحتجب عن الناس وحرم على نفسه الجلوس فى الدست وكتب إلى عضد الدولة أن يرد إليه الغلام ويتذلل فصار ضحكة بين الناس ، وعوتب فما ارعوى لذلك ، وبذل فى فداء الغلام جاريتين عوديتين كان قد بذل له فى الواحدة مائة ألف دينار، وقال للرسول: إن توقف عليك فى رده فزد ما رأيت ولا تفكر ، فقد رضيت أن آخذه وأذهب إلى أقصى الأرض ، فرده عضد الدولة عليه » .

وبالرغم من ذلك كله ازدهرت الحياة الثقافية فى هذا العهد الذى كان بعض خلفائه وأمرائه يمارسون بأنفسهم الكتابة والتأليف . وقد سبقت الإشارة إلى الخليفة القادر بالله وتصنيفه كتاباً فى الأصول ، كما كان الملك الرحيم أبو منصور فيروز معنياً بدراسة الأدب والتاريخ والنحو ونظم القصائد .

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٤٠٦

وكان عضد الدولة من رعاة العلم والأدب فكان مقصد العلماء والأدباء كما صنفت له الكتب مثل كتاب الإيضاح والتكملة فى النحو لشيخ أبى على الفارسى، وكتاب التاجى فى أخبار بنى بويه لأبى إسحاق الصابى، كما أقام عضد الدولة البيمارستانات ومنها البيمارستان العضدى ببغداد الذى جهزه بما يلزمه من الأدوات .

وفى سنة ٣٨٢ ﻫ ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكرخ عمرها وسماها دار العلم ووقفها على العلماء ووقف بها كتباً كثيرة .

وشاهد هذا العصر كثيراً من أبرز علماء الإسلام مثل أبى بكر الصولى، وأبى جعفر النحاس، وأبى القاسم الزجاجى النحوى، والدينورى، والمسعودى، وابن درستويه، وأبى على الطبرى، والفاكهى صاحب تاريخ مكة، والمتنبى، وأبى على القالى، وأبى الفرج صاحب الأغانى، والصاحب[١] ابن عباد، والدارقطنى، وابن جنى، والجوهرى صاحب الصحاح، وبديع الزمان أول من عمل المقامات، وابن الفارض، وابن نباته، والشيخ أبى حامد الأسفراينى، وابن فورك، والشريف الرضى، وأبى بكر الرازى صاحب الألقاب، وابن البواب صاحب الخط[٢] .

التنافس بين بنى بويه :

كان تاريخ بنى بويه سلسلة من المنازعات العائلية التى وصلت فى كثير من الأحيان حد الحروب وما يتبعها من سجن أو قتل لبعض أفراد الأسرة على يد البعض الآخر . حقاً كان الوفاق سائداً بين الإخوة الثلاثة أحمد

---

(١) المقريزى : خطط ﺟ ٢ ص ٢٢٣

(٢) انظر : الدكتور سهيل أنور : الخطاط البغدادى على بن هلال المشهور بابن البواب — ترجمة محمد بهجة الأثرى وعزيز سامى .

وعلى والحسن مؤسسى الدولة البويهية ، ولكن لم تلبث الأسرة بعدم أن نشبت بين أفرادها المنازعات والحروب فى سبيل الاستبداد بالسلطة أو الاستيلاء على أكبر قدر من الولايات . فبعد وفاة معز الدولة سرعان ما بدأ النزاع بين بختيار بن معز الدولة وبين عضد الدولة ابن ركن الدولة . واستطاع الأخير أن يغرى جند بختيار بعزله ، ثم دخل بغداد وقبض على بختيار فى سنة ٣٦٤ ﻫ . ولكن نزولا على رغبة والده خرج عضد الدولة من بغداد بعد أن أطلق سراح ابن عمه بختيار . ومع ذلك فبعد موت ركن الدولة عاود عضد الدولة مهاجمة بختيار ، وأخيراً استولى على بغداد (١) وتمكن من قتل بختيار .

وحدث صراع آخر بين صمصام الدولة خليفة عضد الدولة على العراق وبين أخيه شرف الدولة بن عضد الدولة صاحب أصبهان والرى وشيراز وكان تدطامع فى الاستيلاء على العراق وانتهى الصراع بدخول شرف الدولة بغداد ، وسجن صمصام الدولة بإحدى قلاع فارس .

ولم تلبث أن قامت منافسة بين شرف الدولة وبين عمه فخر الدولة ، وأرسل شرف الدولة قائده قراتكين الجهشيارى لقتال بدر بن حسنويه فى بلاد الجبل لمخالفته لعمه ، وكانت نتيجة هذه الحرب أن هزم جيش شرف الدولة ، واستولى بدر على بلاد الجبل وما والاها وأصبح خطراً يهدد بلاد العراق نفسها .

ثم خلف شرف الدولة أخوه بهاء الدولة الذى حاول التخلص من منافسيه فقبض على أبى على ابن أخيه شرف الدولة وقتله ، كما وقعت الحرب بينه وبين عمه فخر الدولة صاحب الرى وهمذان وأصبهان الذى حرضه وزيره الصاحب ابن عباد على الاستيلاء على بغداد طمعا — كما قيل — فى أن يلى

---

(١) محمد الخضرى : المرجع السابق ص ٣٩٥ .

الوزارة بعاصمة الخلافة غير أن الهزيمة حاقت بجيوش فخر الدولة وتم النصر لبهاء الدولة .

وحدث أن استطاع صمصام الدولة أن يهرب من سجنه الذى سبقت الإشارة إليه ثم جهز جيشاً لمحاربة بهاء الدولة وتقابل الجيشان فى سنة ٣٨٠هـ على مقربة من شيراز ، وانتهى الصراع بقتل صمصام الدولة فى سنة ٣٨٨هـ

وتصدى بهاء الدولة لابنى بختيار اللذين كانا قد استوليا على فارس واستمالا إليهما الديلم ، وكان هؤلاء يحقدون على بهاء الدولة لاعتماده على الأتراك . وأخيراً استطاع بهاء الدولة أن يتغلب على ابنى بختيار وأن يقتل أحدهما فى سنة ٣٩٠ هـ .

وبعد موت بهاء الدولة دب الشقاق بين ولديه : سلطان الدولة وأخيه أبى الفوارس ويعزو ابن الأثير هذا الشقاق إلى إغراء الديلم لأبى الفوارس على حرب أخيه وأخذ ما بيده من البلاد ، ولجأ أبو الفوارس إلى محمود بن سبكتكين صاحب غزنه[١] . غير أن الصراع بين الأخوين انتهى أخيراً باعتراف أبى الفوارس بزعامة أخيه سلطان الدولة . ولكن لم يلبث أن نشبت الحرب بين سلطان الدولة وبين أخيه الثانى مشرف الدولة . ولم يصف الجو لمشرف الدولة إلا بعد وفاة سلطان الدولة فى سنة ٤١٥ هـ .

ثم نشبت الحرب بين أبى الفوارس صاحب كرمان وابن أخيه أبى كاليجار . وأثناء انشغالهما بالحرب سار جلال الدولة إلى بغداد واستولى عليها وأقام الخطبة بها من جديد بعد أن كان قد أخرج منها .

وفى آخر عهد بنى بويه استولى أبو منصور على شيراز فسير إليه أخوه

(١) لقب بالسلطان الأعظم فى نص تذكارى على برج محمود من حوالى سنة ٤٢١هـ
Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe VI, no 2378.

الملك الرحيم أخاه الآخر أبا سعد خسرو شاه فاستولى عليها وأقام الخطبة فيها للملك الرحيم الذى سار إلى خوزستان فأذعنت له بالطاعة ، كما هزمت جيوشه فى سنة ٤٤٠ هـ الملك العزيز بن جلال الدولة وكان قد طمع فى امتلاك البصرة . ومات جلال الدولة فى سنة ٤٤١ هـ .

غير أن أبا منصور عاود الكرة فتصدى لأخيه الملك الرحيم وانتصر عليه وملك الأهواز فى سنة ٤٤١ هـ غير أنه لم يلبث أن أخرج منها ثم عاد إليها .

وفى سنة ٤٤٣ هـ أرسل الملك الرحيم أخاه أبا سعد لمهاجمة قلعة اصطخر فاستولى عليها وعلى مدينة شيراز ، وهكذا صارت مدن العراق وفارس مجالا للصراع بين الملك الرحيم وبين إخوته تارة ، كما صارت مجالا للصراع بينه وبين السلاجقة تارة أخرى .

ولقد كان الصراع بين أفراد الأسرة البويهية من أهم عوامل ضعفها ، كما ساعد السلاجقة على الانتصار على الملك الرحيم ، ومهد لهم السبيل للاستيلاء على بغداد والقضاء على بنى بويه .

اتساع حركة التجزؤ فى الدولة العباسية ومقاومة بنى بويه :

وجد فى عهد بنى بويه دولتان إسلاميتان أخريان اتخذتا ألقاب الخلافة ونازعتا الخلافة العباسية الزعامة على العالم الإسلامى وهددتا نفوذها : هما الدولة الأموية فى الأندلس ، والدولة الفاطمية فى شمال أفريقية .

وكان الصراع على أشده بصفة خاصة بين الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية إذ اتخذ مظهراً عقائدياً [1] بالإضافة إلى الجوانب الحربية والسياسية.

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ١١٧ - ١٤٢ .

وفى هذا العصر استطاع الخلفاء الفاطميون أن يستولوا على مصر حيث ، أسسوا مدينة القاهرة التى اتخذوها عاصمة لهم وعلى غيرها من البلاد . كما انتشر دعاتهم فى سائر أنحاء الدولة العباسية ولا سيما فى إيران .

ولم يكن الخطر الفاطمى هو الوحيد الذى يهـــدد بنى بويه بل إنهم تعرضوا لمناوأة شديدة فى الدولة العباسية نفسها وذلك من قبل الولاة والأمراء الذين أسسوا أسراً حاكمة تتمتع باستقلال فعلى عن الخلافة العباسية . وكانت أهم هذه الأسر أسرة بنى كاكويه فى كردستان (٣٩٨ — ٤٤٣ ﻫ / ١٠٠٧ — ١٠٥١ م) والغزنويين فى غزنة (٣٥١ — ٥٨٢ ﻫ / ٩٦٢ — ١١٨٦ م) والسلاجقة الذين سيطروا على غرب آسيا وكان على يدهم القضاء على بنى بويه .

هذا وقد خاض بنو بويه كثيراً من الحروب مع مناوئيهم من الأمراء والأسر الحاكمة فبمجرد أن استقر معز الدولة فى بغداد استمرت الحرب بينه وبين ناصر الدولة بن حمدان (١) : إذ انتهز ناصر الدولة فرصة خروج معز الدولة مع المطيع من بغداد واستولى عليها وكان رد معز الدولة على ذلك أن هاجم تكريت — وكانت فى حوزة بنى حمدان — فنهبها ثم قصد بغداد حيث قامت الحرب بينه وبين ناصر الدولة و حليفه ابن شيرزاد ، واستمرت الحرب أربعة أشهر ثم انتهت بخروج ناصر الدولة من بغداد إلى عكبرة .

ثم عمل معز الدولة على إخضاع البريديين لسلطانه فهاجم البصرة بصحبة الخليفة غير أن أبا القاسم البريدى كان قد لجأ إلى القرامطة فى هجر

ولما خلف بختيار أباه معز الدولة نشب نزاع بينه وبين سبكتكين أكبر

---

(١) نقش اسمه على العملة انظر :

Nesselmann, op. cit., pp. 112 — 115.

قواده، وانحاز الطائع إلى جانب سبكتكين ؛ وأدى النزاع إلى نشوب الحرب بين الفريقين فى سنة ٣٦٤ ﻫ .

ومن المنازعات التى واجهها بنو بويه تلك الحروب التى خاضوها مع أمراء البطيحة . وكانت البطيحة أرضاً واسعة بين واسط والبصرة غمرتها مياه دجلة والفرات منذ أيام كسرى أبرويز فصارت بطائح ثم صار فى الإمكان زراعة الأرز فيها فى العصر الإسلامى . وفى أوائل عهد بنى بويه استطاع أهل هذه الأراضى أن يولوا عليهم أميراً منهم ، وخرجوا عن طاعة الدولة العباسية ، ولكن استطاع شرف الدولة أن يكسب ولاءهم وقلد أحد رؤسائهم أميراً عليهم ولقبه مهذب الدولة وزوجه ابنته ، وقد عظم شأن مهذب الدولة حتى لجأ إليه القادر وبقى فى حماه إلى أن تولى الخلافة [1].

ثم اضطربت أحوال البطيحة واستولى عليها أبو العباس بن واصل وطرد منها مهذب الدولة ، ثم استولى على البصرة ، وهدد جنوبى العراق بعد أن هزم جيوش بهاء الدولة فى سنة ٣٩٤ ﻫ . غير أن بهاء الدولة ساعد مهذب الدولة فى استرداد البطيحة . ومع ذلك تجدد القتال بين بهاء الدولة وبين ابن واصل الذى هدد الأهواز وانتصر على جيوش بهاء الدولة . وأخيراً عقد صلح بينهما أعلن بمقتضاه ابن واصل ولاءه لبهاء الدولة ثم عاد إلى البصرة .

ولم يلبث أن تعرض سلطان بنى بويه فى العراق للخطر وذلك حين خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل وصاحب الموصل والأنبار والكوفة للخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فى سنة ٤٠١ ﻫ غير أن بهاء الدولة أرسل إليه جيشاً اضطره إلى إعادة الخطبة إلى العباسيين كما سبق أن قدمنا .

---

(١) محمد الخضرى : المرجع السابق ص ٣٩١ .

وتجدد النزاع فى سنة ٤٣٢ ﻫ بين جلال الدولة البويهى وبين قرواش ابن المقلد أمير بنى عقيل الذى لم يأبه بأوامر جلال الدولة وأخذ يؤلب الجند من الأتراك عليه غير أن الحروب بينهما انتهت بعودة قرواش إلى طاعة بنى بويه .

وخاض بنو بويه حروباً أخرى فى إيران خصوصاً بعد ظهور الغزنويين والسلاجقة : إذ حارب أبو كاليجار صاحب أصبهان لانضمامه إلى طغرلبك السلجوقى ثم نجح فى سنة ٤٣٨ ﻫ فى استمالته إليه . ثم عقد الصلح بين أبى كاليجار وبين طغرلبك بعد ذلك بسنتين ، واتفقا على أن يتزوج طغرلبك بابنة أبى كاليجار ، وأن يتزوج الأمير أبو منصور بن أبى كاليجار بابنة الملك داود أخى طغرلبك . وكان من أثر هذا الصلح أن تأجل استيلاء السلاجقة على بغداد بعض الوقت .

ولكن بعد أن تولى الملك الرحيم السلطة فى بغداد تصدى له السلاجقة[1] ودخلوا بغداد فى رمضان سنة ٤٤٧ ﻫ (ديسمبر سنة ١٠٥٥ م) وهكذا قضوا على سلطان بنى بويه فى العراق . بعد أن قضوا عليه فى فارس كما كان قد قضى عليه من قبل ابن كاكويه فى أصبهان (٣٩٨ ﻫ) والرى وهمذان (٤١٤ ﻫ) .

(١) Colonel Lamouche, Histoire de la Turquie, p. 15.

الفصل الرابع

العصر العباسى الرابع

يبدأ هذا العصر – حسب مااصطلح عليه بعض المؤرخين – بدخول طغرلبك بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) والقضاء على دولة بنى بويه ، ويمتد حتى سقوط بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء العباسيين على يد المغول فى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وقد حكم فى هذا العهد إثنا عشر خليفة هم :

٢٦ – أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م .

ثورة البساسيرى ٤٥٠ هـ .

(كان الخليفة بالمنفى) من ٤٥٠ إلى ٤٥١ هـ .

٢٧ – أبو القاسم عبد الله عدة الدين المقتدى بأمر الله : ٤٦٧ هـ (١٠٧٥ م) .

٢٨ – أبو العباس أحمد المستظهر بالله ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م .

٢٩ – أبو منصور الفضل المسترشد بالله ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م .

٣٠ – أبو جعفر المنصور الراشد ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م .

٣١ – أبو عبد الله محمد المقتفى لأمر الله ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م .

٣٢ – أبو المظفر يوسف المستنجد بالله ٥٥٥ هـ , ١١٦٠ م .

٣٣ – أبو محمد الحسن المستضىء بأمر الله ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م .

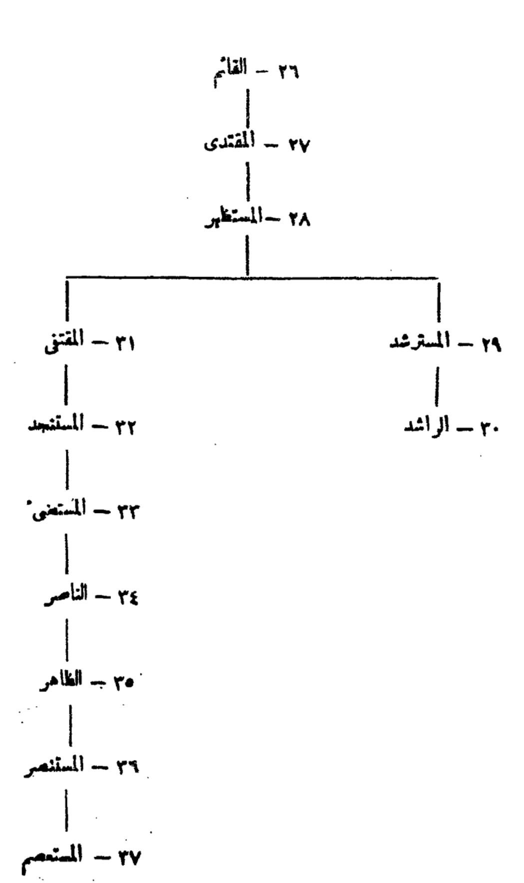
٣٤ – أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ٥٧٥ هـ/ ١١٨٠ م .

٣٥ – أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م .

٣٦ – أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م .

٣٧ – أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢ م .

قتله هولاكو فى ١٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ .



٢٦ — القائم
٢٧ — المقتدى
٢٨ — المستظهر
٢٩ — المسترشد
٣٠ — الراشد
٣١ — المقتفى
٣٢ — المستنجد
٣٣ — المستضئ
٣٤ — الناصر
٣٥ — الظاهر
٣٦ — المستنصر
٣٧ — المستعصم

ويمتاز هذا العصر بعدد من الظواهر والأحداث المهمة منها :

١ — حدوث تعديل فى مركز الخلافة العباسية سواء من حيث السلطة الروحية أو السياسية .

٢ — قيام السلاجقة كقوة حربية وسياسية تجاهد فى سبيل الإسلام ، وتنصر المذهب السنى ، ووضعهم لأنظمة اجتماعية صارت أساس التطورات التالية فى كثير من أقطار العالم الإسلامى لا سيما مصر وسورية .

٣ — تقدم المسلمين فى آسيا الصغرى والتمهيد للاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية .

٤ — قيام دول الأتابكة .

٥ — ظهور الباطنية كخطر إرهابى .

٦ — نهاية الدولة الفاطمية .

٧ — قيام دولة خوارزمشاه ومحاولتها الاستيلاء على السلطة فى بغداد وسقوطها أمام زحف المغول .

٨ — بداية الحروب الصليبية وانتصار الصليبيين ثم هزيمتهم واقتراب نهايتهم .

٩ — قيام الدولة الأيوبية ودولة المماليك وتحول مصر والشام إلى المذهب السنى ورجوعهما إلى الخلافة العباسية .

١٠ — سقوط بغداد على يد المغول والقضاء على الخلافة العباسية .

قيام السلاجقة :

ينتسب السلاجقة إلى جدهم سلجوق بن تقاق[1] من قبيلة غز قنق إحدى القبائل التركية فى إقليم القرغيز فى آسيا الوسطى ، وكان سلجوق يعرف بلقب تيموريلغ أى ذى القوس الحديدية ، ويقال إنه كان مقدم الأتراك الغز ، وقد اعتنق الغز الإسلام على مذهب السنة حينما اتصلوا بأهل جند عند مصب نهر سيحون ، ثم أخذ نفوذهم بعد ذلك فى الازدياد ، وساعد على ذلك تدهور الأوضاع السياسية فى بلاد ما وراء النهر حيث كانت الحروب مستمرة بين السامانيين والقره خانية الأتراك فى سبيل استئثار كل منهم بالسلطة . واشترك السلاجقة والغز فى هذه الحروب إلى جانب السامانيين رغبة فى تحسين أحوالهم .

وفى تلك الأثناء مات سلجوق فى جند ، ولكن لم يلبث أن ظهر أولاده بعد ذلك سنة ٢٧٥ هـ (٩٨٥ م) فى شمال شرق بخارى بزعامة أحدهم : أرسلان بن سلجوق الذى صار يسمى إسرائيل ، ويلقب أحياناً بيغو : وهو لقب عرف عند الغز ومعناه الشيخ الكبير .

واستمر أرسلان فى الانضمام إلى جانب السامانيين فى حروبهم ضد القره خانية كما حدث فى سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) وكذلك تحالف مع على تكين الذى استولى على بخارى .

واسترعى نشاط السلاجقة والغز انتباه محمود الغزنوى أثناء حملة قام بها فى بلاد ماوراء النهر فى سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) تم خلالها خلع محمود لعلى تكين واتفاقه مع قادرخان القره خانى . وتمكن محمود الغزنوى من

---

(١) « تقاق » أو « دقاق » كلمة تركية معناها « القوس الجديد » ـ ابن الأثير ـ الكامل فى التاريخ ـ حوادث سنة ٤١٢ هـ .

أسر أرسلان وسجنه فى قلعة كالنجار من أعمال ملتان حيث لم يسمع عنه شيء بعد ذلك . وسمح محمود للغز بالإقامة فى خراسان جماعات متفرقة ، ودخل فعلا جماعة منهم خراسان ولكنها لم تلبث أن رفضت الاعتراف بسلطان الغزنويين وأخذ هؤلاء الغز يغيرون على نواحي أذربيجان والعراق. وصار هؤلاء يعرفون بالغز العراقيين[١] .

أما باقي الغز فظلوا فيما وراء النهر تحت زعامة أحد أفراد الأسرة السلجوقية : وهو طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق ، وكان أبوه ميكائيل ابن سلجوق قد قتل فى حرب نشبت بينه وبين الأتراك غير المسلمين واستعان طغرلبك بأخويه محمد وجغرى بك داوود ، كما استمد العون أيضاً من الينالين جماعة خاله إبراهيم بن ينال أو إينال وكذلك من أولاد عمه موسى ابن سلجوق . وظل السلاجقة يقيمون بالقرب من بخارى فى أمان أثناء حكم تكين ، وكانوا ينتقلون فى الشتاء إلى خوارزم من أجل المرعى وذلك بإذن من أميرها هارون بن التونتاش .

غير أنه بعد وفاة على تكين نشب الخلاف بين خلفائه وبين السلاجقة . ثم حدث أن قتل هارون بن التونتاش وخلفه أبناؤه الذين خرجوا على طاعة الغزنويين بتعضيد من السلاجقة ، وحينئذ أمر مسعود الغزنوى تابعه شاه ملك حاكم جند بالإغارة على خوارزم ، ففر أبناء التونتاش وطرد السلاجقة .

وسعى السلاجقة عند مسعود الغزنوى ليقطعهم نسا وفراوه ليعيشوا فيها ولكن دون جدوى ، ومن ثم اضطر السلاجقة إلى أن يحصلوا على مأوى لهم بالقوة. وأوقع السلاجقة بالغزنويين هزائم منكرة كان أفدحها هزيمة مسعود

(١) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ص ٦ ، الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ٨٨ — ٩٠ .

الغزنوى نفسه فى وقعة دندانقان فى رمضان سنة ٤٢١ﻫ (مايو ١٠٤٠م) واستولى طغرلبك على نيسابور حيث خطب له العمال فى النواحى بالسلطان الأعظم[١].

ثم أخذ السلاجقة يمدون نفوذهم على سائر البلاد : ففى سنة ٤٣٢ ﻫ (١٠٤١م) استولوا على هراة وبلخ وخراسان من الغزنويين، وفى سنة ٤٣٣ﻫ (١٠٤٢ م) استولوا على طبرستان وجرجان من أنوشروان بن منوجهر ابن قابوس[٢]، وفى سنة ٤٣٤ ﻫ استولوا على خوارزم ثم امتد نفوذهم إلى مناطق أخرى ؛ وفى سنة ٤٤٠ ﻫ استولوا على أذربيجان وأرمينية والموصل ثم أخذوا يشنون الغارات على آسيا الصغرى، وفى سنة ٤٤٢ ﻫ استولوا على أصبهان من ابن كاليويه[٣]، كما فتحوا بلاد فارس واستسلم من كان بها من الديلم ، وهكذا قضوا على حكم بنى بويه فيها ثم دخلوا مدينة نسا . وفى سنة ٤٤٣ ﻫ بعث الخليفة القائم إلى طغرلبك بالخلع والألقاب وولاه على جميع ما فتحه من البلاد ، ورد طغرلبك على ذلك بأن بعث إلى الخليفة ونائبه رئيس الرؤساء بالهدايا الثمينة ، ثم غزا طغرلبك بلاد الروم ثم رجع إلى الرى ومنها إلى همذان .

وفى تلك الأثناء كان الغز العراقيون لا يزالون فى إغاراتهم على نواحى أذربيجان والعراق ودخلوا فى صراع مع أمراء الولايات العباسية مثل بنى بويه ودبيس بن مزيد وبنى عقيل وصاحب الموصل وامتد خطرهم إلى ديار بكر وبلاد الأرمن، وفى سنة ٤٤٦ﻫ كانوا قد وصلوا دسكره وأصبحوا بالقرب من بغداد وكانوا يخطبون على المنابر فى البلاد التى يدخلونها باسم طغرلبك وحين ازداد عبثهم شكا الخليفة القائم إلى طغرلبك أعمالهم فأجاب بأنهم عصوا أوامره وأنه سوف يضع حداً لعبثهم .

(١) الراوندى : راحة الصدور - ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - حوادث سنة ٤٣٣ ﻫ .

(٣) المرجع نفسه - حوادث سنة ٤٤٢ ﻫ .

ومن الواضح أن الخليفة العباسى كان ينظر إلى طغرلبك وأنصاره من السلاجقة كحماة للخلافة العباسية ضد الأخطار الداخلية والخارجية ولا سيما تهديد الشيعة من الفاطميين فى الخارج وبنى بويه فى الداخل. ومن المعروف أن بنى بويه لم يجردوا الخليفة العباسى من نفوذه السياسى فحسب وإنما كانوا ينكرون أيضاً سلطانه الروحى. وكان الملك الرحيم البويهى يحكم بغداد عن طريق البساسيرى القائد التركى الذى كان على اتصالات سرية مع الفاطميين، وكثيراً ما كان يحقر من شأن الخليفة العباسى ووزيره ابن المسلمة. ومن ثم لم يجد الخليفة بداً من دعوة طغرلبك الذى لم يتردد فى الاستجابة إليه. وفى سنة ٤٤٦هـ(١٠٥٤م) أعد طغرلبك قواته وجمع مؤناً ضخمة فى همذان إستعداداً لحملته على بغداد.

دخول طغرلبك بغداد ونهاية بنى بويه(١) :

وفى سنة ٤٤٧هـ(١٠٥٥م) تقدم طغرلبك إلى حلوان ومن ثم صار على أبواب بغداد وعملا بنصيحة الخليفة القائم أعلن الملك الرحيم البويهى ولاءه لطغرلبك ودعاه إلى دخول بغداد أما الأتراك فلم يأبهوا بنصائح الخليفة وخرجوا من بغداد حيث انضم جزء منهم إلى البساسيرى. وأمر القائم بأن يخطب على منابر بغداد باسم طغرلبك وتم ذلك فى آخر رمضان سنة ٤٤٧هـ. واستقبل طغرلبك عند دخوله بغداد موكب يضم أعيان بغداد من القضاة والفقهاء والأشراف ورؤساء الديلم.

ورغم توسط الخليفة للملك الرحيم فإن طغرلبك لم يلبث أن قبض عليه ثم بعث به إلى قلعة السيروان حيث ظل محبوساً بها إلى أن مات، كما قبض على خاصته ونزع الإقطاعات من سائر أعوانه، ووثق طغرلبك صلته بالخليفة القائم فزوجه ابنة أخيه داوود ولقبه الخليفة بركن الدين وفى سنة ٤٤٩هـ خاطبه بملك المشرق والمغرب وتم اعتراف بلاد العراق كلها بما فى ذلك الموصل وديار بكر بسيادة طغرلبك.

(١) راجع تفاصيل ذلك فى: ابن الأثير ـ الكامل فى التاريخ ـ حوادث سنتى ٤٤٦، ٤٤٧هـ.

ثورة البساسيرى :

لم يمر استيلاء طغرلبك على بغداد دون قلاقل إذ صمم طغرلبك على القضاء على البساسيرى فخرج من بغداد وتبعه نحو الشمال غير أنه اضطر إلى تغيير وجهته حين بلغه نبأ ثورة إبراهيم بن إينال فتوجه إلى همذان لإخمادها وانتهز البساسيرى زعيم الأتراك وقريش بن بدران صاحب الموصل هذه الفرصة فتقدما نحو بغداد ودخلاها فى ٨ ذى القعدة سنة ٤٥٠ هـ وتم القبض على الخليفة القائم وتحويل الخطبة إلى الخليفة المستنصر الفاطمى وإعلان التشيع .

وكان الخليفة القائم قد استجار بقريش بن بدران فأجاره بدافع من النخوة العربية ونقله إلى عانه وبذلك نجا من البساسيرى . وعهد قريش إلى بعض خواصه بالمحافظة على زوجة الخليفة بنت أخى السلطان طغرلبك .

استمر البساسيرى يسيطر على بغداد باسم الفاطميين عاماً كاملا[1]. غير أنه حين رجع طغرلبك إلى العراق هرب البساسيرى من بغداد فى ذى القعدة سنة ٤٥١ هـ وقتل أثناء فراره فى سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م) فى معركة مع القوات السلجوقية . وبذلك وئدت هذه الفتنة ، وخلص الأمر تماما للسلاجقة .

دول السلاجقة :

أسس طغرلبك أسرة السلاجقة وثبت حكمهم وكان بذلك أول سلاطينهم وفى عهده وعهد خلفائه دانت كثير من الأقطار لحكمهم حتى وصلت فتوحاتهم نهر سيحون واستولوا على معظم آسيا الصغرى بعد انتصارهم على الأرمن والبيزنطيين كما ضموا إليهم الشام بالإضافة إلى فارس والعراق وبلاد العرب .

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٢٥٣ .

وفى أول الأمر ساد الوئام بين أفراد الأسرة السلجوقية وخضعوا جميعاً لسلطان واحد منهم هو طغرلبك ثم لخلفائه من بعده وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هؤلاء السلاطين باسم السلاجقة العظام .

ثم توزع السلاجقة إلى عدد من الأسر الفرعية اقتسمت فيما بينها أقطار الدولة العباسية وما أضافوه إليها من فتوحات ، ومن أهم هذه الأسرة :

١ — سلاجقة العراق . ٢ — سلاجقة كرمان . ٣ — سلاجقة الشام
٤ — سلاجقة الروم (آسيا الصغرى) ، وفيما يلى ثبت بأسمائهم :

السلاجقة العظام ٤٢٩ — ٥٥٢ هـ (١٠٣٧ — ١١٥٧ م)

١ — ركن الدين أبو طالب طغرلبك	٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م)
٢ — عضد الدين أبو شجاع الب أرسلان	٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م)
٣ — جلال الدين أبو الفتح ملكشاه	٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م)
٤ — ناصر الدين محمود	٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م)
٥ — ركن الدين أبو المظفر بركيارق	٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م)
٦ — ملكشاه الثانى	٤٩٨ هـ (١١٠٤ م)
٧ — غياث الدين أبو شجاع محمد	٤٩٨ هـ (١١٠٤ م)
٨ — معز الدين أبو الحارث سنجر	٥١١ هـ (١١١٧ م)
	٥٥٢ هـ (١١٥٧ م)

وخلفهم أسرة خوارزمشاه .

سلاجقة كرمان ٤٣٣ — ٥٨٣ هـ (١٠٤١ — ١١٨٨ م)

١ — عماد الدين قرا أرسلان قاورد بك	٤٣٣ هـ (١٠٤١ م)
٢ — كرمان شاه	٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م)
٣ — حسين	٤٦٧ هـ (١٠٧٤ م)

٤ — ركن الدين سلطان شاه	٤٦٧ هـ (١٠٧٤ م)
٥ — توران شاه	٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م)
٦ — إيران شاه	٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م)
٧ — أرسلان شاه	٤٩٤ هـ (١١٠٠ م)
٨ — مغيث الدين محمد الأول	٥٢٦ هـ (١١٤١ م)
٩ — محي الدين طغرل شاه	٥٥١ هـ (١١٥٦ م)
١٠ — (ا) بهرام شاه / (ب) أرسلان شاه / (ج) تركان شاه — متنافسون	٥٦٣ هـ (١١٦٧ م)
١١ — محمد الثانى	٥٨٣ هـ (١١٨٧ م)

وخلفهم التركمان الغز .

سلاجقة الشام ٤٨٧ — ٥١١ هـ (١٠٩٤ — ١١١٧ م)

١ — تتش بن الب أرسلان	٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م)
٢ — رضوان بن تتش (فى حلب)	٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م)
	٥٠٧ هـ (١١١٣ م)
٣ — دقاق بن تتش (فى دمشق)	٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م)
٤ — الب ارسلان الأخرس بن رضوان	٥٠٧ هـ (١١١٣ م)
٥ — سلطان شاه بن رضوان	٥٠٨ هـ (١١١٤ م)
	٥١١ هـ (١١١٧ م)

وخلفهم البوريون والأرتقيون .

سلاجقة العراق[1] وكردستان ٥١١ — ٥٩٠ هـ (١١١٧ — ١١٩٤ م)

١ — مغيث الدين محمود	٥١١ هـ (١١١٧ م)
٢ — غياث الدين داود	٥٢٥ هـ (١١٣١ م)
٣ — طغرل الأول	٥٢٦ هـ (١١٣٢ م)
٤ — غياث الدين مسعود	٥٢٧ هـ (١١٣٣ م)
٥ معين الدين ملكشاه	٥٤٧ هـ (١١٥٢ م)
٦ — محمد	٥٤٨ هـ (١١٥٣ م)
٧ — سليمان شاه	٥٥٤ هـ (١١٥٩ م)
٨ — أرسلان شاه	٥٥٦ هـ (١١٦١ م)
٩ — طغرل الثانى	٥٧٣ هـ (١١٧٧ م)
	٥٩٠ هـ (١١٩٤ م)

وخلفهم خوارزم شاه .

سلاجقة الروم ٤٧٠ — ٧٠٠ هـ (١٠٧٧ — ١٣٠٠ م)

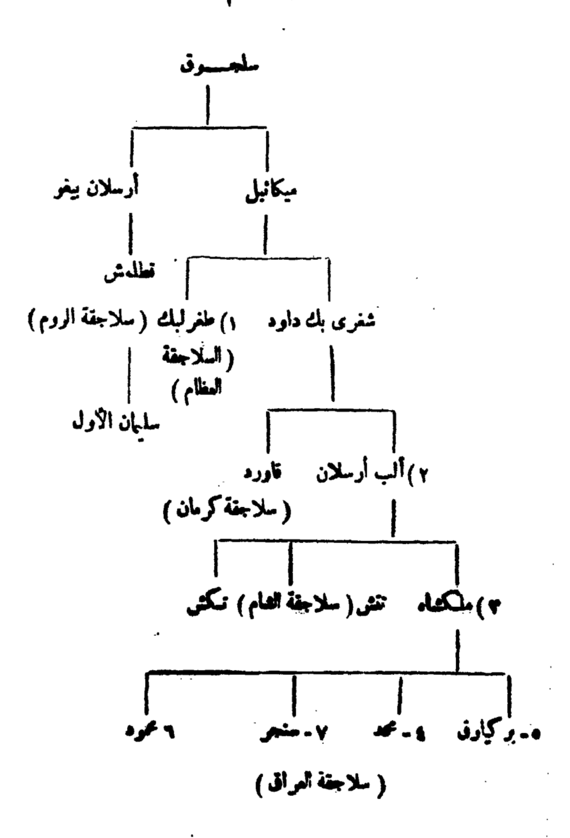
١ — سليمان الأول بن قطلمش	٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م)
(فترة شغور)	٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)
٢ — قلج أرسلان داود	٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م)
٣ — ملكشاه الأول	٥٠٠ هـ (١١٠٦ م)
~~٤ — مسعود الأول~~	~~٥١٠ هـ (١١١٦ م)~~
٥ — عز الدين قلج ارسلان الثانى	هـ (١١٥٦ م)
٦ — قطب الدين ملكشاه الثانى	٥٨٤ هـ (١١٨٨ م)
٧ — غياث الدين كيخسرو الأول	٥٨٨ هـ (١١٩٢ م)

(١) انظر دكتور عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق .

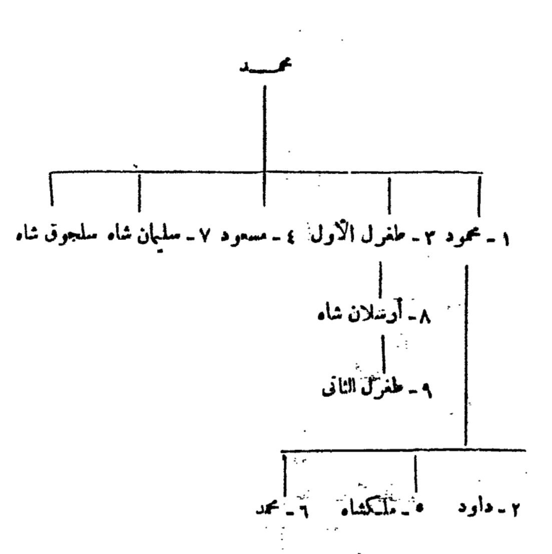
٨ — ركن الدين سليمان الثانى	٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م)
٩ — قلج أرسلان الثالث	٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)
كيخسرو الأول (للمرة الثانية)	٦٠١ هـ (١٢٠٤ م)
١٠ — عز الدين كيكاوس الأول	٦٠٧ هـ (١٢١٠ م)
١١ — علاء الدين كيقباد الأول	٦١٦ هـ (١٢١٩ م)
١٢ — غياث الدين كيخسرو الثانى	٦٢٤ هـ (١٢٣٦ م)
١٣ — عز الدين كيكاوس الثانى	٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م)
١٤ — ركن الدين قلج أرسلان الرابع	٦٥٥ هـ (١٢٥٨ م)
١٥ — غياث الدين كيخسرو الثالث	٦٦٦ هـ (١٢٦٧ م)
١٦ — غياث الدين مسعود الثانى	٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م)
١٧ — علاء الدين كيقباد الثانى	٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م)
	٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م)

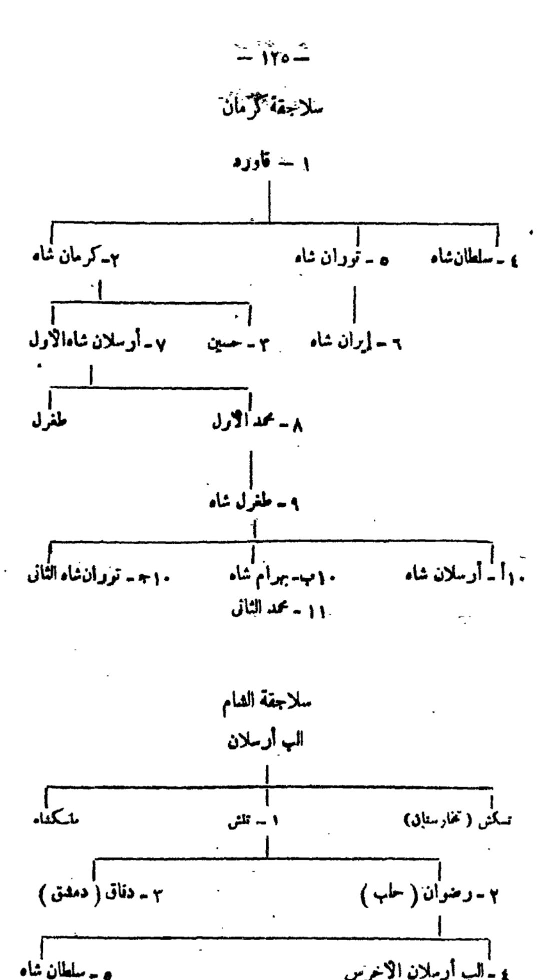
خلفهم المغول والأتراك العثمانيون وغيرهم .

السلاجقة العظام

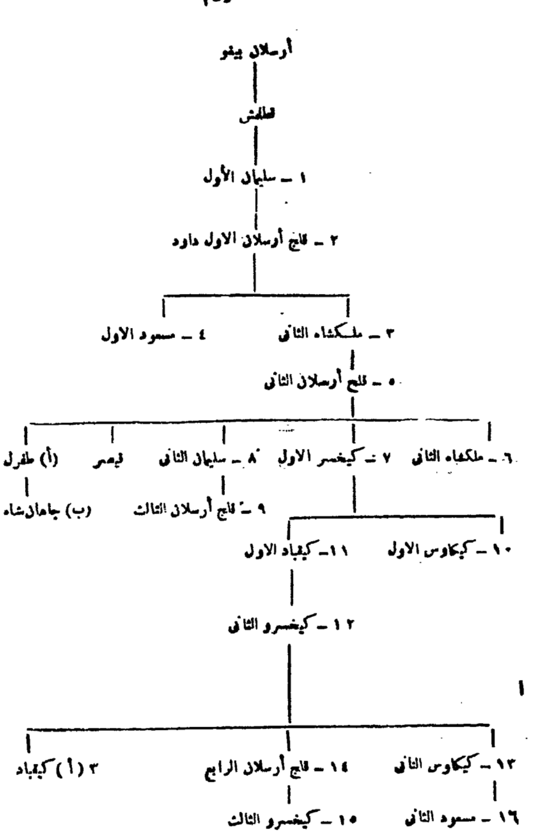


سلاجقة العراق




سلاجقة كرمان
١ — قاورد
٤ - سلطان شاه
٥ - توران شاه
٢ - كرمان شاه
٦ - إيران شاه
٣ - حسين
٧ - أرسلان شاه الأول
٨ - محمد الأول
طغرل
٩ - طغرل شاه
١٠ أ - أرسلان شاه
١٠ ب - بهرام شاه
١٠ ج - توران شاه الثاني
١١ - محمد الثاني
سلاجقة الشام
الب أرسلان
تكش (تخارستان)
١ - تتش
ملكشاه
٢ - رضوان (حلب)
٣ - دقاق (دمشق)
٤ - الب أرسلان الأخرس
٥ - سلطان شاه

سلاجقة الروم



السلاجقة والخلافة

على عكس بنى بويه عامل السلاجقة الخلفاء العباسيين بإجلال نابع من عاطفة دينية صادقة . إذ كانوا يدينون بالمذهب السنى : مذهب الخلافة العباسية ومن ثم مدوا نفوذها الروحى على الأقطار التى فتحوها ، ودافعوا عن المذهب السنى بحماس شديد ، وقد أطلق السلاجقة على أنفسهم فى أقدم وثيقة معروفة عنهم اسم « موالى أمير المؤمنين »(١).

ويتضح مدى احترام السلاجقة للخلافة العباسية من مواقف طغرلبك إزاء الخليفة المقتدى : إذ حرص على أن يزوجه إبنة أخيه ، وأعاده إلى الخلافة بعد ثورة البساسيرى ، وبالغ فى التودد إليه ومهاداته والتواضع له والتبرك به . جاء فى وصف استقبال الخليفة لطغرلبك حين تشرف بمقابلة الخليفة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٤٥١ هـ أنه قبل الأرض بين يديه ثم سأل مصافحة الخليفة فمد إليه يده مرتين فقبلها ووضعها على عينيه. ولما وافق الخليفة بعد كثير من التردد على أن يشرف طغرلبك بالزواج من ابنته فرح طغرلبك لموافقة الخليفة فرحا شديدا وحمل أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولى العهد ولزوجته ولوالدتها وغيرهم من خاصة الخليفة وأقاربه ، وجعل لابنة الخليفة كل ما كان لزوجته المتوفاة ، ولما انتقلت العروس من دار الخلافة إلى دار المملكة فى منتصف صفر سنة ٤١١ هـ ، جلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان إليها وقبل الأرض وخدمها ، ولم تكشف الخمار عن وجهها ولم تقم له ، وحمل لها شيئاً كثيرا من الجواهر وغيرها ، وظل كذلك يحضر كل يوم وينصرف .

---

(١) يمكن تفسير لقب « مولى أمير المؤمنين » فى حالة استعماله كلقب فخرى بأن الصلة بين صاحب اللقب وبين الخليفة تشبه الصلة بين المعتق والمعتق من حيث الاعتراف بجميل العتق والاحتياج إلى المساعدة والانتصار .

وبالرغم من مظاهر التكريم التى أحاط بها السلاجقة الخلافة العباسية فإنهم لم يسمحوا للخلفاء العباسيين أن يتعدى نفوذهم السيادة الروحية إلى السلطة السياسية وذلك باستثناء حقهم الإسمى فى أن يضفوا على السلطان السلجوقى الولاية والألقاب والخلع وغيرها من المراسم . فحين كان ملكشاه مشغولا فى حروبه المبكرة بحيث لم يستطع أن يتلقى ولاية السلطنة بنفسه بعث فى سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٢ م) رسولا من قبله إلى الخليفة ليتلقى منه البيعة نيابة عنه ، وقد أفاض الخليفة على السلطان بهذه المناسبة بعض الألقاب الفخرية من باب التشريف والتكريم .

أما من حيث الإدارة الفعلية أو السلطة السياسية فمنذ دخول طغرلبك بغداد فوضت إليه إدارة المدينة ، وجرد الخليفة القائم ووزيره الكندرى من السلطة المدنية ، وهكذا صار السلطان وموظفوه يستبدون بسلطة الحكم والإدارة فى بغداد وأعمالها فضلا عن سائر بلاد الخلافة ، وظل هذا الوضع سائدا حتى خلافة المسترشد (٥١٢ - ٥٢٩ هـ) .

وحرص الوزير نظام الملك[1] فى عهد الب أرسلان وملكشاه على تثبيت هذا الوضع لجرد الخليفة من ممارسة السلطة السياسية ، كما وضع بلاط الخليفة تحت الإشراف الدقيق عن طريق موظفين موالين له ، وعندما حاول الخليفة المقتدى مقاومة هذا الوضع فى سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) تصدى له نظام الملك ثم عزل الوالى الوحيد الذى كان لايزال يدين بالولاء للخليفة وهو والى ديار بكر المروانى .

غير أن نظام الملك كان من الحنكة بحيث بنى سياسته على تحقيق الانسجام

---

(١) اسمه الحسن بن على بن اسحق الطوسى . انظر أيضا :
Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, VII , no 2734 .

بين السلطان بقوته العسكرية وبين الخليفة بسلطانه الروحى ولكن بعد اغتيال نظام الملك فى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) لم يستطع السلطان أن يحافظ على هذه السياسة ، وكان الخليفة المقتدى قد تزوج فى سنة ٤٨٠هـ(١٠٨٧م) من ابنة السلطان ملكشاه وبعد أن رزق منها بغلام عزم السلطان أن يجعل الخلافة والسلطنة معاً لحفيده هذا ، ولكنه عاجلته منيته قبل تحقيق غرضه .

وبعد موت ملكشاه لم يقنع الخلفاء بالمكانة الروحية وحدها وعملوا على استعادة سلطانهم السياسى الذى كانوا قد أخذوا يفقدونه منذ استفحال نفوذ الأتراك فى العصر العباسى الثانى ثم ضاع منهم تماماً فى عهد بنى بويه . وحين انتاب الأسرة السلجوقية المنازعات والحروب بعد وفاة ملكشاه تدخلت الخلافة فى الصراع بين أفراد الأسرة أملا فى الحصول على بعض المكاسب السياسية ، غير أن ذلك لم يتم بدون تضحيات من جانب الخلافة : إذ انضم المقتدى إلى جانب محمود الابن الأصغر لملكشاه ضد أخيه الأكبر بركياروق الذى يبدو أنه دبر قتل الخليفة بعد انتصاره .

وظهرت نزعة الخلافة العباسية إلى استعادة بعض السلطان السياسى بشكل واضح فى عهد المسترشد : إذ حاول الاستفادة من المنازعات التى نشبت بين سلاجقة العراق بعد وفاة السلطان محمد فى سنة ٥١٢ هـ (١١١٨م) حين قامت الحرب بين أبنائه الأربعة فى سبيل الاستئثار بالسلطة . ونجح الخليفة فى أن يعقد سلاماً مع محمود فى سنة ٥٢٠هـ(١١٢٦م) وأن يهزم حملة على بغداد قام بها دبيس بن صدقة أمير بنى مزيد بالحلة وعماد الدين زنكى أمير الموصل فى سنة ٥٢٨ هـ(١١٣٢م) [1] كما استطاع بعد ذلك أن يرغم السلطان مسعود على أن يتخلى له عن بغداد وما حولها ، وبذلك صار للخليفة السلطة المطلقة فى حكمها .

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٢٨ .

وتمادى المسترشد فى طموحه فاتخذ لنفسه أجناداً مما أدى إلى تنافر بينه وبين السلطان مسعود فقطع على أثره المسترشد الخطبة باسم مسعود على منابر بغداد ، ثم أعد جيشاً وخرج على رأسه لمحاربة مسعود بدار سلطنته ؛ غير أن الحرب أسفرت عن هزيمة جند الخلافة وأسر المسترشد . ثم عقد الصلح بين الطرفين على أن يؤدى الخليفة إلى السلطان قدراً من المال ، وألا يعود إلى جمع العساكر ، وألا يخرج من داره غير أن الخليفة قتل على يد جماعة من الباطنية فى ١٧ ذى القعدة سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٥م) على باب مدينة مراغة قبل أن يطلق سراحه .

ولم تتوقف محاولات الخلافة للاستحواذ على السلطة المدنية بعد قتل المسترشد : إذ عمل ابنه الخليفة الراشد على عزل السلطان مسعود ، وكان من جراء ذلك أن توجه السلطان مسعود إلى بغداد ودخلها فى سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م) ، وتم خلع الراشد الذى كان قد بارح بغداد إلى الموصل قبل قدوم مسعود . ولم يكن الراشد قد لبث فى الخلافة غير أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً (١) .

وإذا كانت محاولات المسترشد والراشد قد باءت بالفشل فإن خلفهما المقتفى بأمر الله استغل الصراع بين السلاجقة وأخذ يمد نفوذه تدريجياً على العراق حتى نجح فى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧م) واستقل بحكم العراق وكان بذلك أول خليفة تمكن من الحكم منفرداً عن أى سلطان أو أمير منذ عهد المنتصر – وذلك باستثناء المعتضد الذى حدث فى عهده صحوة مؤقتة للخلافة العباسية . غير أن المقتفى جابهته بعض المصاعب : إذ كان قد عهد بالسلطنة للسلطان سليمانشاه فى سنة ٥٥١هـ (١١٥٦م) بشرط ألا يتدخل فى حكم العراق ؛ ولكن حدث أن هزم سليمانشاه على يد منافسه السلطان محمد فتقدم محمد

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء (عهد الراشد) .

فى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧م) نحو بغداد للانتقام من المقتفى ؛ وضرب محمد الحصار حول بغداد ولكنه فشل فى اقتحامها وانصرف عنها، وعلى أثر ذلك أخذت سلطة الخليفة فى الازدياد من جديد . ومنذ ذلك الوقت لم يقم أى سلطان سلجوقى فى بغداد بل صاروا يقيمون فى همذان .

وأخذ نفوذ الخلافة العباسية فى الازدياد فى عهد الناصر — وكان أطول الخلفاء العباسيين حكماً[1] — وقد حظى عهده بانضمام مصر إلى الخلافة العباسية بعد موت الخليفة الفاطمى العاضد فى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١م) وبانتصار صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين فى موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧م) واستعادة القدس ، وهكذا ازداد السلطان الروحى للخلافة العباسية . واستطاع الناصر بفضل طموحه وسياسته وتنظيماته للفتوة وقضائه على منافسيه فى الحكم فى بغداد أن يستحوذ على السلطة المطلقة فى بغداد ثم أخذ يمد نفوذه نحو الشرق ؛ وفى سبيل ذلك عمل على القضاء على حكم السلاجقة فى العراق وكردستان فساعد خوارزمشاه علاء الدين تكش على هزيمة طغرل الثانى آخر هؤلاء السلاجقة عند الرى فى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤م) ، وقد مات طغرل الثانى أثناء القتال وبموته انتهى حكم السلاجقة فى العراق . وانتهز الناصر سقوط السلاجقة فحاول الاستيلاء على مدينة الرى وضمها إلى ملكه ، غير أن علاء الدين لم يلبث أن طرده منها جند الخلافة فى سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) ، وكان من جراء ذلك أن اشتد العداء بين الخليفة وبين خوارزمشاه وقطع كل منهما الخطبة باسم الآخر فى مناطق نفوذه ، ثم عمل كل منهما على التخلص من الآخر وأعلن خوارزمشاه عزل الناصر ومبايعة خليفة من العلويين ، ثم أعد عدته لمهاجمة بغداد وتنصيب خليفته فيها .

---

(١) بويع بالخلافة فى ٢ ذى القعدة سنة ٥٧٥ هـ (٣٠ مارس ١١٨٠ م) وظل خليفة إلى أن توفى فى آخر رمضان سنة ٦٢٢ هـ (٦ أكتوبر ١٢٢٥م) فكانت خلافته ٤٦ سنة وعشرة أشهر و ٢٨ يوماً .

وهكذا يلاحظ أن ظهور السلاجقة كان كسباً كبيراً للخلافة العباسية ، وكان القضاء عليهم بمثابة بداية النهاية بالنسبة للخلافة العباسية .

كما أنه من الملاحظ أن سلاطين العراق كانوا منذ عهد أرلهم محمود (٥١١ — ٥٢٥هـ/١١١٧ — ١١٣١م) يعتمدون فى الحكم على أتباعهم من كبار الأمراء الذين كانوا يحوزون معظم الولايات كإقطاعات يديرونها بل وكثيراً ما أسسوا أسراً توارثت حكمها وصار هؤلاء الحكام يلقبون بلقب أتابك (١) أو شاه أو ملك . وكان ذلك من أهم العوامل التى أدت إلى القضاء على السلاجقة .

هذا وقد كان خلفاء هذا العصر على مستوى طيب من حسن السيرة والعدل والثقافة كما نسب إليهم كثيراً من الإصلاحات مما أعلى منزلة الخلافة فى قلوب الناس ففى عهد الخليفة المقتدى أسست مدرسة لتاج الملك مستوفى الدولة بباب أبرز فى بغداد فى سنة ٤٨٣هـ (١٠٩٠م) ، كما حرص المقتفى على تجديد معالم الخلافة ، وأزال المستنجد المكوس والمظالم وكان شديداً على أهل العبث والفساد والسعاية بين الناس ، وحل الإقطاع وأعاد الأراضى إلى الخراج ، كما كان خبيراً بآلات الفلك والاسطرلاب ، وذكر السيوطى أنه دانت الملوك للمستضىء ، وخطب للناصر فى بلاد الأندلس والصين (٢) . وفى عهد المستنصر أنشئت فى بغداد المدرسة المستنصرية(٣) (٦٢٥ — ٦٣١هـ) التى لا تزال قائمة حتى اليوم .

---

(١) تتألف من كلمتين تركيتين هما « اطا » بمعنى أب و « بك » بمعنى أمير . المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٤٦ .

(٢) تاريخ الخلفاء فى ترجمة الناصر .

(٣) وردت تصويرة للمدرسة المستنصرية فى مخطوطة مزوقة بالتصاوير من مقامات الحريرى بالمكتبة الأهلية بباريس مؤرخة سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م (رقم arabe 5847) انظر أيضاً ناجى معروف : علماء المستنصرية .

النظم السلجوقية

باستيلاء السلاجقة على السلطة فى الدولة العباسية دخلت الدولة فى طور جديد من أطوارها وذلك بفضل الأنظمة الجديدة التى ظهرت على يدهم ، والتى صارت أساس كثير من التطورات الاجتماعية فى العالم الإسلامى فيما بعد . ولقد قيض الله للدولة السلجوقية فى أوائل عصرها شخصية فذة كان لها دور كبير فى توجيه سياسة هذه الدولة ، ووضع أنظمتها ، والإشراف على تنفيذها : ونعنى بذلك الوزير نظام الملك .

نظام الملك :

وزر نظام الملك السلطان ألب أرسلان ثم السلطان ملكشاه ، كما وزر أبناؤه الاثنا عشر السلاجقة من بعده ، ومن ثم كان لهذه الأسرة دور مهم فى حكم الدولة وتاريخها . ويعتبر عصر نظام الملك بمثابة العصر الذهبى للدولة السلجوقية ، ويرجع إليه وضع كثير من أنظمتها ، كما كان له كثير من الإصلاحات فى شتى المجالات ، لاسيما فى عهد ملكشاه الذى منحه لقب « أتابك »[1] : أى الأمير الوالد وقال له « رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك » . وقد ذكر ابن خلكان أنه « صار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا التخت والصيد وأقام على هذا عشرين سنة » .

وكان نظام الملك ضليعاً فى أمور السياسة وتدبير الملك ، وقد ألف رسالة فى أصول الحكم سماها « سياست نامه » أورد فيها آراءه عن الحكم العادل السليم .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨ . أطلق لقب أتابك على نظام الملك فى كتابة أثرية بتاريخ سنة ٤٧٥ هـ (١٠٨٢م) على لوح من الرخام محفوظ بمتحف دمشق . وتتعلق هذه الكتابة بإجراء بعض العمائر بالجامع الأموى بدمشق
Van Berchem, Inscr. arabe de Syrie, MIE; III, p. 430, pl. IV

وقد وضع نظام الملك أساس نظام الإقطاع الإسلامى الذى وصل فى عصر السلاجقة شكله النهائى كنظام اجتماعى واقتصادى تقوم عليه الدولة إذ استن فى سنة ٤٨٠ ﻫ (١٠٨٧ م) نظام الإقطاع الحربى الذى صارت الإقطاعيات بموجبه وراثية مما أدى إلى نشأة دويلات تتمتع باستقلال فعلى، ولو أن السيادة الاسمية ظلت للسلاجقة فترة من الزمن.

وفى مجال الإصلاح الاقتصادى أبطل نظام الملك المكوس والخفارات فى جميع البلدان، وعمل على التعمير وإصلاح الأراضى وحفر القنوات، وحرص على تمهيد الطرق، وعنى بمحطات القوافل فى الصحارى والمفاوز، وهيأ لها وسائل الأمن حتى أنه يقال إن القوافل كانت تسير فى أمان من أقصى الشام إلى ما وراء النهر دون حارس أو خفير.

وفى مجال الصحة وجهت الدولة عنايتها إلى المحافظة على نظافة المياه فى نهر دجلة ومنع تلوثها: فمنعت أصحاب الحمامات من تصريف المياه فيه، وحتمت عليهم حفر آبار خاصة للمياه القذرة، كما خصصت أماكن معينة لغسل السمك.

واهتم نظام الملك بإصلاح التقويم: فأشار على ملكشاه فى سنة ٤٦٧ﻫ (١٠٧٤ — ١٠٧٥م) بجمع علماء الفلك فى المرصد الذى بناه، وتكليفهم بإصلاح تقويم السنة الفارسية، وفعلا تم وضع أصول «التقويم الجلالى» نسبة إلى ملكشاه الذى كان يلقب بجلال الدين. ويعتبر هذا التقويم أدق فى بعض الوجوه من التقويم المتبع حالياً. ومما تجدر الإشارة إليه أنه أسهم فى وضع هذا التقويم الشاعر الفلكى الكبير عمر الخيام [١] (ت ٥١٧ ﻫ / ١١٢٣ — ١١٢٤ م) الذى شمله نظام الملك بحسن رعايته.

---

(١) انظر Encyclopaedia of Islam.

أما فى مجال الدين فكان لنظام الملك دور كبير . ولقد كان نظام الملك نفسه عالماً متديناً . وبمجرد توليه الوزارة أزال لعن الأشعرية من المنابر . وكان من إصلاحاته الدينية أن عمل على بناء المساجد وتعميرها ، وبنى الأربطة ،وزود طريق الحج إلى مكة بالمناهل والمصانع . كما أولى نظام الملك رعايته للعلماء ورجال الدين وعلى رأسهم الغزالى الذى زاد من تكريمه وعهد إليه فى سنة ٤٨٤ هـ بالتدريس بالمدرسة النظامية التى أسسها نظام الملك فى بغداد[1] ضمن المدارس الكثيرة التى عرفت بالنظامية نسبة إليه والتى أنشأها لتعليم الدين حسب المذهب السنى ، وخصص لها ما يلزمها من النفقات الضخمة .

هذا وقد انتهت حياة نظام الملك نهاية مفجعة إذ اغتيل فى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢م) على يد أحد الباطنية الذين اعتبروه من ألد أعدائهم ومن أخطر المحاربين للمذهب الشيعى . أما أبناؤه فقد ذهبوا ضحية الدسائس والمؤامرات .

إحياء المذهب السنى على يد السلاجقة :

حين ظهر السلاجقة كان المذهب السنى مضيقاً عليه سواء فى داخل الدولة العباسية أو فى خارجها : ففى الداخل كان يسيطر على الحكم بنو بويه ، وكانوا من غلاة الشيعة ، أما فى الخارج فكانت مصر وسورية وبلاد العرب يحكمها الفاطميون الذين لم يكتفوا باتخاذ التشيع مذهباً رسمياً داخل دولتهم بل عملوا على بث دعاتهم فى سائر أنحاء الدولة العباسية ولا سيما فى إيران . وكان السلاجقة متحمسين للمذهب السنى : فتصدوا للدفاع عنه بخاصة وعن

(١) البندارى : زبدة ص ٦٩ ، جرجى زيدان : التمدن الإسلامى ج ٢ ص ٢٠٢ ، براون : تاريخ الأدب العربى فى إيران ص ٢٢٠ ،
Hitti. History of the Arabs. p. 411

الإسلام بعامة، وعملوا على تحقيق ذلك بشتى الوسائل سواء بالقوة الحربية، أو التنظيم الإدارى والسياسى، أو التعليم والدعوة الموجهة.

وكانت أولى خطواتهم فى هذا المجال القضاء على بنى بويه، وبذلك ثبتوا السيادة الروحية للخلافة العباسية، ثم توغلوا فى بلاد الروم حيث نشروا الإسلام على المذهب السنى، كما قضى خلفاؤهم من الأتابكة والأيوبيين على الصليبيين، واستردوا الأراضى المقدسة، وأنهى الأيوبيون الدولة الفاطمية، وأرجعوا مصر والشام إلى الخلافة العباسية والمذهب السنى.

ولم يعتمد السلاجقة وخلفاؤهم فى إقرار المذهب السنى على حد السيف فحسب، وإنما لجئوا بصفة خاصة فى سبيل ذلك إلى الدعوة والتعليم. وكان أهم وسائلهم إلى ذلك إنشاء المدارس لتعليم فقه السنة وعلومها. وبفضل السلاجقة صارت المدارس مؤسسات رسمية أو شبه رسمية ذات أنظمة وأهداف واضحة تعمل على تعليم الدين والمذاهب السنية ويختار لها مدرسون من أكفأ الفقهاء السنيين (١).

هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن الوزير نظام الملك كان من أعظم رعاة المدارس: إذ أسس مدارس فى كثير من أنحاء الدولة السلجوقية: مثل نيسابور وبغداد والبصرة وأصفهان وبلخ وهراة والموصل وغيرها (٢).

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ١١ ص ١٠٠، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩٢ – ٢٩٣، Van Berchem, CIA, égypte, p. 259 – 260.

(٢) جرجى زيدان: التمدن الإسلامى جـ ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٣، ناجى معروف: التوقيعات التدريسية ص ٢٧، دكتور عبد المنعم حسنين: سلاجقة ايران والعراق ص ٨١.

وكان يختار لها أشهر علماء السنة فى عصره . وانتشرت المدارس فى العالم الإسلامى على نمط المدارس النظامية فأنشئت فى كثير من مدن خراسان والعراق وسورية ومصر وآسيا الصغرى وصارت مراكز إشعاع للعقيدة الإسلامية والمذهب السنى . كما أصبح تأسيس المدارس من أعظم القربات إلى الله .

الحضارة السلجوقية :

بفضل النظم الإدارية والاجتماعية التى وضعها السلاجقة ، والعلاقات التجارية والثقافية التى عملوا على تنميتها ، والظروف السياسية والحربية التى ظهرت فى عصرهم ، والسياسة الدينية والعلمية التى ساروا عليها : ظهرت لهم حضارة متميزة يمكن أن نطلق عليها اسم الحضارة السلجوقية .

ويتميز عصر السلاجقة بتغلغل العناصر التركية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى : ذلك التغلغل الذى أدى إلى ازدياد التأثيرات التركية فى المجتمع الإسلامى ومجالاته المختلفة (١) .

على أن ازدياد تأثير العناصر التركية لم يؤد إلى اختفاء التأثيرات الفارسية فى عصر السلاجقة ، بل على العكس زاد من ظهورها : ذلك أن السلاجقة كشعب حربى فى الدرجة الأولى كانوا قد اتخذوا الحضارة الفارسية وتقاليدها عند استقرارهم فى إيران . ولذا ظل السلاجقة إلى حد ما محافظين على التقاليد البويهية الفارسية فى بعض الأمور . ويبدو الحرص على التقاليد الفارسية فى إحياء اللغة الفارسية : إذ اعتبر السلاجقة أنفسهم أبطال الحركة الوطنية الفارسية ، ومن ثم استطاعت بلاد الفرس بفضل تشجيعهم ورعايتهم أن تقطع مرحلة كبيرة فى سبيل إحياء اللغة الفارسية

---

(١) دكتور حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٦٢ — ٦٣ .

واستخدامها فى الكتابة والتأليف ، وكان من أثر ذلك ظهور بعض الألفاظ والمصطلحات الفارسية فى البلاد التى خضعت لنفوذ السلاجقة . واستعيرت الألفاظ الفارسية فى تكوين بعض الألقاب الإسلامية ، كما استخدمت الألقاب الفارسية نفسها .

وبهذه المناسبة يتميز العصر السلجوقى بظواهر معينة فى مجال الألقاب: ففى هذا العصر صار لقب « السلطان » لقباً عاما على حكام السلاجقة : فحين دخل طغرلبك بغداد فى رمضان سنة ٤٤٧ هـ نعت «بالسلطان» [1] كما أطلق لقب «السلطان» أيضا على الب ارسلان[2] وملكشاه [3] ويغلب على الظن أنه فى هذا العصر أخذ لقب السلطان يتحدد مدلوله كحاكم أعظم ، ولقب الملك كحاكم تابع ، ويتضح ذلك من دراسة ماجريات الحوادث والمنازعات فى أيام السلطان سنجر . ومن الملاحظ أن هذا التقليد قد اتبع عند الأيوبيين وعند المماليك فى مصر ، ولو أن السلطان ظل أيضا يلقب بلقب الملك .

ومن المظاهر الرسمية فى العصر السلجوقى الإكثار من الألقاب للسلاطين وذوى النفوذ من الوزراء ولاسيما الألقاب المركبة التى تتكون من أكثر من لفظ واحد . وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح فى نسخة كتاب من الخليفة المقتفى إلى مسعود السلجوقى فى تعزيته بولد مات له جاء فيه : من عبدالله محمد المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين إلى شاهنشاه المعظم مولى الأمم ، مالك رقاب العرب والعجم ، جـــلال دين الله ، ظهير عباد الله ، حافظ بلاد الله ، معين خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ، محيى الدولة

---

(١) المقريزى . السلوك ص ٣٣ .

(٢) أطلق عليه فى نقش بتاريخ ٤٥٩ هـ على صينية من الفضة من ايران . انظر Ars Islamica, p. 251.

(٣) المقريزى السلوك ص ٣٣

القاهرة ، معز الملة الباهرة ، أبى الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين .(١)

وبالإضافة إلى ذلك تمتع السلاجقة ورجالهم بألقاب فخرية خاصة : ومن ذلك تلقيب طغرلبك « بملك المشرق والمغرب » ، وتلقيب سنجر « بذى القرنين » ، وتلقيب الوزير نظام الملك « بالوزير العادل الكامل نظام الملك رضى أمير المؤمنين » .

ومن الألقاب الفخرية التى أضيفت فى هذا العصر على الوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة الألقاب المضافة إلى « الملك » مثل « عميد الملك »(٢) و « نظام الملك » .

الفن السلجوقى :

نشأ الفن السلجوقى بفضل الظروف المختلفة التى تميز بها هذا العصر ، ومن أهمها الصلات التى نماها السلاجقة بين الشرق الأوسط والصين ، والتى أدت إلى أن دخلت التأثيرات الصينية فى العـــالم الإسلامى واشتركت مع التأثيرات الفارسية الموروثة والتقاليد التركية فى تشكيل طراز فنى جديد داخل إطار التعاليم الإسلامية والروح العربية . وقد وضحت خصائص هذا الطراز فى أفرع الفن المختلفة من عمارة ومن فنون تشكيلية : فى مجال الزخرفة والتصوير والنحت ، ومن فنون تطبيقية ، فى مجال الخزف والنسيج والمعادن وغير ذلك . ولقد كان هذا الفن السلجوقى هو الأساس الذى تطورت منه الفنون الإسلامية بعد ذلك فى معظم أنحاء العالم الإسلامى ، ولاسيما العراق وإيران ومصر والشام وبلاد العرب وآسيا الصغرى(٣) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٩٧

(٢) الذهبى : العبر فى خبر من غبر . مخطوط ١٨٠ ظهر .

(٣) Dimand . A Handbook of Mohammedan Art . p . 173.

ويبدو أن ابتكار طراز فنى جديد فى عصر السلاجقة لم يكن يخلو من من دوافع مذهبية : إذ صار الفن السلجوقى الجديد إحدى الوسائل المستخدمة فى مناهضة المذهب الشيعى : وذلك بفضل اتخاذه طابعاً مخالفاً تماماً للفن الفاطمى الذى ازدهر فى الدولة الفاطمية .

وكان من أبرز مظاهر الفن السلجوقى ظهور الخط النسخ على العمائر والتحف منذ القرن السادس الهجرى (١٢م) بدلا من الخط الكوفى الذى ربما انفرد قبل ذلك بالاستخدام فى الفنون الإسلامية ، والذى كان قد شاع استعماله عند الفاطميين وصار ينسب إلى الشيعة حتى إنه اصطلح على تسميته بالخط القرمطى نسبة إلى القرامطة إحدى الطوائف التى انتسبت إلى الشيعة .

السلاجقة والباطنية :

كان من جراء إهمال السلاجقة لاتخاذ البريد للتجسس ونقل الأخبار أن راجت فى بلاد الفرس بعض الحركات المناوئة الخلافة العباسية والحكم السلجوقى ، وكان من أخطر هذه الحركات قيام طائفة الباطنية أو ما اصطلح البعض على تسميتها باسم الحشاشين أو الإسماعيلية . وكان الداعى الكبير لهذه الطائفة هو أحمد بن عبد الملك بن عطاش غير أن هذه الحركة برز خطرها بشكل واضح فى عهد رئيسها التالى الحسن بن الصباح (ت ٥٢١هـ / ١١٢٤ م) الذى تلقى بمصر أصول الدعوة الفاطمية ثم عاد إلى مرو واستولى فى سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠م) على قلعة الموت التى تقع فى موقع حصين عسير المنال بنواحى قزوين ، ثم استولى الباطنية على قلاع أخرى ومكنوا لأنفسهم فى إيران (١) .

---

(١) عرف هؤلاء الباطنية عند المستشرقين باسم Assassins كما عرفوا أيضاً باسم الحشيشية أو الحشاشين وكذلك بالفدائية أو الفداوية . انظر ابن بطوطه جـ ١ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

وأخذ الباطنية يغيرون على المدن . ويقطعون الطرق ، ويستولون على أموال الناس .

وحين استفحل خطر الباطنية وجه نظام الملك جيشاً لمهاجمة قلعة الموت غير أن نظام الملك اغتيل على يد بعض الباطنية مما كان من جرائه أن تراجع الجيش السلجوقى دون أن يحقق أهدافه . وحاول كثير من السلاجقة القضاء على الباطنية ولكن دون جدوى .

وقد اعتمد حسن الصباح فى كسب ولاء أنصاره بتلقينهم مبادىء الطاعة العمياء لأوامره ، ومن ثم صاروا فدائيين يقومون بما يطلب منهم ولو أدى ذلك إلى موتهم . ومن ثم كان الباطنية يكلفون فى بعض الأحيان لاغتيال من يناوئهم سواء أكان من الخلفاء أم السلاطين أو الوزراء أم غيرهم وسواء أكان من المسلمين أم غير المسلمين ، وكثيراً ما كان يلجأ المتنافسون من أرباب الدول إلى زعيم الباطنية ليخلصهم من أعدائهم .

وقد استطاع الباطنية أن يؤسسوا مراكز أخرى فى العراق وبلاد الشام وكان للباطنية فى الشام دورهم فى الحروب الصليبية[1] .

هذا وقد قضى على الباطنية فى إيران والعراق على يد المغول أما الباطنية فى الشام فقد تم خضوعهم لدولة المماليك فى عهد السلطان الظاهر بيبرس .

الأتابكة

خلف السلاجقة فى حكم الولايات العباسية أتباع لهم اقتسموها بينهم ، وكون بعضهم أسراً عرفت عند المؤرخين باسم أسر الأتابكة .

---

(١) أبو الفدا : ج ٣ ص ٨٩ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٥٢١ .

والأتابكة جمع أتابك ، وتتألف اللفظة من كلمتين تركيتين هما « أطا » بمعنى أب و « بك » بمعنى أمير[1] . وذكر عماد الدين فى تاريخه أن أصلها « أطابك » بمعنى الوالد الأمير أو الأب الأمير أو أمير أب[2] . وضبطها ابن بطوطة بفتح الباء[3] ووردت فى صبح الأعشى للقلقشندى بفتحها . وقلبت الطاء تاء فى الاستعمال .

ومن المحتمل أن وظيفة الأتابك نشأت فى المجتمع التركانى القديم متمشية مع نظمه الاجتماعية وتقاليده وعاداته . وكانت مهمة الأتابك هى الوصاية على أولاد السلطان وتربيتهم . وكانت هذه الوظيفة مقصورة فى معظم الأحيان على الأمراء الترك .

وعرفت هذه الوظيفة منذ عصر السلاطين الأول : فقد كلف داود نظام الملك بالوصاية على ألب أرسلان الذى أمر أن يطيعه كوالده .

غير أن هذه الوظيفة لم تعرف بصفة رسمية إلا فى سنة ٤٦٥ هـ : وذلك حين فوض السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى إلى وزيره نظام الملك أمر تدبير المملكة ، ولقبه بألقاب منها « أطابك » . وقد أطلق لقب أتابك على نظام الملك فى كتابه أثرية بتاريخ سنة ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م) على لوح من الرخام محفوظ بمتحف دمشق . وتتعلق هذه الكتابة بإجراء بعض العمائر بالجامع الأموى بدمشق[4] .

---

(١) المقريزى : سلوك . حاشية الدكتور محمد مصطفى زيارة

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٨ ، جـ ٦ ص ٦ ، جـ ١١ ص ١٦٧ .

(٣) ابن بطوطة جـ ٢ ص ٢٥٨

(٤) Van Berchem, Inscr , arabe de Syrie, MIE, III, p . 430

وقد أسندت وظيفة الأتابك فى عهد ملكشاه إلى كمشتكين : فصار أتابك لابنه بركيارق ومربياً له . وبعد وفاة بركيارق صار الأمير الاسفهسلار أياز مقدم عسكره أتابك ولده ملكشاه ، فقام مقام والده . وكان الأمير جوشبك أتابك الملك مسعود السلجوقى ابن محمد وأخى السلطان محمود أول سلاجقة العراق[١] .

ولم تقتصر هذه الوظيفة على الوصى على ولى العهد فقط ، بل جرت العادة أن يعهد بجميع أبناء السلطان السلجوقى ، وبالقصر من أفراد الأسرة السلجوقية إلى أتابكة يتولون تنشئتهم وتربيتهم ورعايتهم . ولما كان السلاطين السلاجقة ميالين إلى إسناد حكم الأقاليم المختلفة فى سلطنتهم إلى أبنائهم وبعض أفراد أسرتهم صار الأمير السلجوقى يشرك أتابكه فى الحكم والإدارة ، ويعتمد عليه فى حل مشاكله سواء فى الداخل أو فى الخارج . ولم يكن الأتابك يصحب الأمير السلجوقى فى ولايته الجديدة بناء على رغبة الأمير فحسب ، بل ربما حرص السلطان نفسه على ذلك هادفاً من وراء ذلك إلى أن يجعله عيناً له على الأمير حتى يحول بينه وبين الاستقلال عن السلطان أو الثورة عليه . وربما كان ذلك من أسباب تعيين السلطان بركيارق أتابكة لأخويه محمد وسنجر . ومن هنا كان الأمير السلجوقى يتمرد أحياناً على أتابكه .

ولكن يلاحظ من جهة أخرى أن الأتابك كان فى كثير من الأحيان مصدر تهديد السلطان نفسه[٢] .

---

(١) البندارى : زبدة ص ٨٣

(٢) انظر مثلا موقف كندغدى أتابك الملك طغرل من السلطان . البندارى : المرجع السابق ص ١١٣ .

وشاع نظام الأتابكية فى الدولة السلجوقية حتى كاد يصبح وجود الأمير السلجوقى والأتابك معاً على رأس الولاية من التقاليد الواجبة . وكان إذا زاد نفوذ أحد الحكام من غير الأسرة السلجوقية حرص على ضم أحد الأمراء السلاجقة إليه حتى يصير أتابكاً ، وقد حدث حين استولى منكوبرس على فارس واجتمع عليه الترك أن كتب إلى السلطان طغرل يشترط عليه أن يبعث إليه بولده ألب أرسلان ، وبذلك صار منكوبرس أتابكاً .

وكان الأتابك يتولى الحكم بطبيعة الحال ، لا سيما إذا كان الأمير السلجوقى قاصراً ؛ وجرت العادة أن يتزوج بأم الأمير القاصر حتى يقوى من مركزه الأدبى ، ومن أمثلة ذلك أنه فى سنة ٥٣٢ هـ تزوج زنكى بالخاتون صفوة الملك زمرد أم شمس الملوك اسماعيل[١] .

وقد أدى هذا النظام إلى أن صار على رأس الولايات السلجوقية ولاة من الأتابكة لا يدينون للسلاطين السلاجقة إلا بطاعة إسمية ، وفى الوقت نفسه يتحينون الفرصة المناسبة للاستقلال بحكم ولاياتهم بل والاستيلاء على غيرها ، والتمكين لأسرهم . ومن ثم انقسمت دولة السلاجقة إلى دويلات يحكمها أسر من الأتابكة توارثت السلطة فى كثير منها : نذكر منهم بنى بورى فى دمشق ، وبنى زنكى فى الموصل والشام وسنجار والجزيرة، وبنى بكتكين فى اربل ، وبنى ايلدكز فى أذربيجان ، وأتابكة يزد ، وبنى سلغر فى فارس ، وبنى فضلويه فى شوانكاره ، وبنى هزراسب فى لورستان الكبرى ، وبنى خورشيد فى لورستان الصغرى .

هذا وقد حل بعض أسر الأتابكة ومن خلفهم من الأيوبيين ثم المماليك

---

(١) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٣٢ .

عبء محاربة الصليبيين وطردهم من العالم الإسلامي . وكانت أول هزيمة للصليبيين على يد عماد الدين زنكي أتابك الموصل حين استطاع أن يطرد الصليبيين من إمارة الرها[١] ، ثم سار على نهجه ابنه نور الدين محمود الذى كرس جهوده لحربهم فى بلاد الشام ، وخلفه أحد قواده صلاح الدين الأيوبى الذى طردهم من القدس ، وهكذا خضدت شوكتهم ثم طرد آخر فلولهم على يد السلطان خليل بن قلاوون .

دولة خوارزمشاه وقدوم جنكزخان

دولة خوارزمشاه من الدول التى خلفت السلاجقة فى شرق العالم الإسلامى وقد استطاعت فى سنة ٥٩٢هـ (١١٩٤م) أن تنهى حكم السلاجقة فى إيران ثم أخذت تمد نفوذها : نهزمت الغوريين[٢] فى سنة ٦٠١هـ (١٢٠٤م) والخطا فى سنة ٦٠٦هـ (١٢١٠م) ، وأمراء غزنة فى سنة ٦١١هـ (١٢١٤م) ، وهكذا صارت حدودها فى عهد خوارزمشاه علاء الدين محمد تمتد من الضفة اليمنى لنهر سيحون إلى ممرات الجبال الواقعة بين إيران ووادى دجلة ، كما صارت تسيطر على خوارزم وخراسان وبخارى وسمرقند وأورتار عاصمة الخطا ، بل اعترف بسيادة علاء الدين فى عمان فى بلاد العرب . وأصبحت خوارزم فى عهده دولة فى الدرجة الأولى من حيث القوة والثراء والمدنية ، وصارت عاصمتها من أكثر المدن ازدهارا ، وصار لها علاقات تجارية مع الشرق والغرب .

غير أنه حدث أن انتاب العلاقات بين خوارزمشاه والخليفة العباسى الناصر

---

(١) Hitti, History of Syria, p. 576

(٢) نسبة إلى الغور وهو جبال وولاية بين هراة وغزنة . محمد الخضرى : المرجع السابق ص ٤٦٠ .

كثير من التدهور : وذلك بسبب التنافس بينهما على السلطة ، والاستئثار بالنفوذ السياسي(١) .

ومن المعروف أن الخليفة الناصر كان يطمع في استعادة السيادة السياسية للخلافة العباسية ، وفي سبيل ذلك عمل على تقوية نفوذه في داخل بغداد وفي خارجها . فمن حيث سياسته في الداخل نجح في القضاء على مناوئيه في بغداد ، وحاول أن يجند قوات محلية لتحقيق أهدافه السياسية ، وعمل على استغلال الفتوة(٢) وهي تنظيم يتألف من أفراد من الطبقات الوسطى والدنيا يتخذ علي بن أبي طالب مثله الأعلى ، فانضم إليه الناصر ، وأعاد تنظيمه ليجعل منه نظام فروسية ، ونصب نفسه رئيساً له ، وحاول توجيهه لتحقيق أهدافه. أما من حيث سياسته في الخارج فاتخذ له بريدا يمده بالأخبار ، ونجح في كسب ولاء زعيم الباطنية ، ثم ساعد خوارزمشاه علاء الدين في الانتصار على طغرل الثاني السلجوقي عند الري في سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٤م) وبذلك ساعد على إنهاء حكم السلاجقة في إيران أملا في أن يكون له نصيب في ملكهم . وفعلا بسط الناصر نفوذه على الري ، غير أن خوارزمشاه لم يلبث أن طرد جند الخلافة من المدينة. ومما زاد العلاقات سوءا اتهام خوارزمشاه للخليفة الناصر بتدبير اغتيال أحد أتباعه وهو والى بلاد الجبـــل على يد أحد الباطنية في سنة ٦١١هـ (١٢١٤م) عقابا له على تحالفه مع خوارزمشاه وكان رد خوارزمشاه على ذلك أن استبدل في سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧م) بالخليفة العباسي الناصر خليفة علويا ، وأعد جيشا للاستيلاء على بغداد وتنصيب الخليفة العلوي بها . غير أن خوارزمشاه اضطر إلى تأجيل حملته إلى العام التالي بسبب الشتاء المبكر . وقد احتفل الخليفة الناصر بهذه المناسبة وذلك بإنشاء باب الطلسم في بغداد .

---

(١) ابن الأثير: المرجع السابق . أحداث سنة ٥٩٠ ومابعدها .

(٢) Hitti, History of Syria, p. 617

ولم يستطع خوارزمشاه القيام بحملته على بغداد بعد ذلك نظرا لما أبتلى به من الغزو المغولى[١]. ويرى البعض أن السبب المباشر لغزو المغول لدولة خوارزمشاه يرجع إلى السياسة التى اتبعها علاء الدين مع جنكزخان حاكم المغول : ذلك أنه كان من الطبيعى أن تكون هناك علاقات تجارية بين دولة خوارزمشاه وبين دولة جنكزخان : ولقد جاء فى بعض المصادر التاريخية أنه فى حوالى سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) شوهد عند جنكزخان ثلاثة من التجار المسلمين الذين كانوا يقومون بتبادل تجارى بين العالم الإسلامى والشرق الأقصى. وكان قد حدث فى سنة ٦١٢هـ (١٢١٥م) أن وقع صدام غير مقصود بين جيش لخوارزمشاه وبين جيش مغولى بقيادة ابن جنكزخان ، غير أن الحرب توقفت بين الجيشين دون نتيجة حاسمة ، واعتبر الموضوع منتهيا من جانب المغول . غير أن خوارزمشاه رأى أن يحصل على مزيد من المعلومات عن دولة المغول فبعث ببعض رسله إلى جنكزخان بهذا القصد . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه السفارة هى التى حسبها البعض فيما بعد مرسلة من قبل الناصر لتحريض المغول على مهاجمة خوارزمشاه . وفى حوالى سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) أرسل جنكزخان إلى خوارزمشاه سفارة تتألف من ثلاثة من التجار المسلمين يحملون معهم هدايا ثمينة . وكان فى خطاب جنكزخان إشارة إلى أنه يعتبر علاء الدين مثل أعز أولاده فاستنكف علاء الدين من ذلك غير أنه صرف الرسل بما طلبوه من الموادعة والإذن بالمتاجرة . ولكن لم يلبث أن اغتيل وفد تجارى لجنكزخان بعد ذلك على الحدود ونهبت قوافله . وعند ما تعرض وفد آخر من قبل جنكزخان للمعاملة نفسها قرر الخان[٢] محاربة علاء الدين : فأعد عدته ، وتوجه مع أبنائه وقواته نحو خوارزم .

(١) René Grousset, L'Empire des Steppes, p. 296.

(٢) كان جنكيزخان يلقب أيضا بالقان وبالخاقان . المقريزى : سلوك ص ٢٠٧ حاشية .

وبالرغم من أن علاء الدين لم يوفق تماما فى أن يوحد جميع القوى فى إيران لصد المغول فإنه بذل جهده فى تقوية الحاميات الواقعة على الحدود الشمالية ، وجهز قواته بقدر إمكانه لصـــد هجوم المغول عند بخارى وسمرقند وترمذ .

وتقدم المغول للهجوم فى أربع فرق ، وكان المغول يعتمدون فى حروبهم على التجسس وتحطيم الروح المعنوية عند أعدائهم، وتفريق وحدتهم بالوقيعة بينهم ، والتشكيك فى معتقداتهم ، وإيهامهم بقوتهم التى لا تقهر وتخويفهم من قسوتهم على من يقاومهم . كما كانوا يعتمدون أيضاً على المفاجأة ، وكان من عاداتهم أن يسوقوا أمامهم أهالى المدن التى يفتحونها عند مهاجمتهم للمدن الباقية: وذلك ليوهموا المدافعين بكثرة عددهم ، وليستنفدوا ذخيرتهم وقوتهم وليلقوا الفوضى والبلبلة بين صفوفهم .

وفى حين ضرب أبناء جنكز خان الحصار حول حاميات الحدود تقدم الخان بنفسه إلى أطرار ومنها إلى بخارى التى سرعان ما سلمت فى سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) بعد حصار قصير .

ولما بلغ علاء الدين أنباء سقوط بخارى وانتصار المغول خارت عزيمته ، وفت فى عضده فتراجع إلى نيسابور ، ومنها إلى مازندان ، والمغول فى أثره ، ثم انتهى إلى همذان ، وهكذا أخذ يفر من مدينة إلى أخرى إلى أن ألقى به المطاف إلى الالتجاء إلى احدى جزر بحر قزوين دون أن يبذل أية محاولة جادة للاقاة المغول ، ثم لم يلبث أن عاجلته منيته فى سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) تاركا ابنه جلال الدين يدافع دون جدوى عن دولته المتهالكة(١) إذ أتم المغول فتح خوارزم وخراسان وأعملوا فيهما الخراب والدمار وعاد

(١) محمد الخضرى : المرجع السابق ص ٤٦٧ — ٤٧٥ .

جنكز خان إلى بلاده حيث لقى حتفه فى سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٧ م) أثناء حصاره لإحدى المدن . غير أن جيوش المغول أو التتر كما تسميهم المصادر العربية استمرت فى تقدمها حتى وصلت سامرا[١] .

وليس من شك فى أن علاء الدين كان له دوره فى نجاح المغول فى غزوهم ذلك أنه من جهة كان قد أنهك دولة الخطا التى كانت بمثابة دولة حاجزة بينه وبين المغول مما جعلها عاجزة عن إعاقة المغول عن تقدمهم نحو دولته ، ومن جهة أخرى كان قد خاض مع سائر القوى فى إيران حروبا كثيرة أدت إلى تصفيتها وفى الوقت ذاته أرهقته هو نفسه ، وكان من جراء ذلك أن فشل فى الحصول على تأييد الجنود الذين لم يكن قد مضى على خضوعهم له غير وقت قصير وبالتالى عجز عن استخدامهم ضد الغزاة استخداما فعالا . كما يؤخذ عليه أيضاً فراره دون بذل أية محاولة جادة ضد أعدائه . مع أنه ربما كان هناك بعض الأمل فى صـــد المغول ، لا سيما وأن جنوده من الأتراك كانوا يوقنون بأنه ليس لديهم أية فرصة فى النجاة من الموت إذا كتب النصر للمغول ، ولذلك ربما كان يحفزهم ذلك إلى الاستبسال فى الحرب ومما يشهد على ذلك أن الحاميات التركية المنعزلة قد دافعت عن نفسها بمنتهى الشجاعة والإقدام . وقد يرى البعض أن الخطأ الذى ارتكبه علاء الدين نتيجة سياسته الرعناء من جهة وتقاعسه عن مواجهة المغول من جهة أخرى يزداد جسامة إذا دخل فى الحسبان ما فعله المغول بعد ذلك بالعالم الإسلامى من تخريب وتدمير .

ومع ذلك فإنه يجب ألا ننسى أن غزو المغول لإيران إنما يمثل فصلا من فصول اجتياحهم لمعظم أنحاء العالم المتحضر فى ذلك الوقت : إذ امتدت فتوحاتهم ما بين الصين وأواسط أوروبا .

René Grousset, op . cit ., p. 303 (١)

قدوم المغول بقيادة هولاكو

الحق أن تاريخ المغول والظروف التى أحاطت بهجومهم على العالم الإسلامى لا يزال يكتنفه كثير من الغموض . ومن المعتقد أنه بعد وفاة جنكزخان فى سنة ٦٢٤هـ(١٢٢٧م) تولى عرش المغول ابنه أوكداى، وخلفه من بعده ابنه كفودبن أوكداى ، ثم دب الشقاق بين أوكداى وبين ناطو ابن دوشى حين رفض أن يدين له بالطاعة . وكان مركز حكمه فى سراى — عاصمة القفجاق — وكان نفوذه يشمل أيضاً ما وراء النهر واران وهمذان وتبريز ومراغة . وأعد كفورد عدته لإخضاع ناطو وتوجه نحوه فى جيش ضخم غير أنه عاجلته منيته قبل أن يصل إليه . وحينئذ عرض المغول على ناطو أن يخلفه على العرش ، ولكنه رفض ، وعين له أخاه منكوفان بن طولى وبعث معه إخوته : قبلاى وهولاكو [١] ، كما أرسل معهم مائة ألف من العسكر بقيادة أخيه بركة بن طولى الذى اعتنق الإسلام وأعلن موالاته للخليفة العباسى المستعصم ، وعمل بعد توليه ملك القفجاق على نشر الإسلام بينهم واتخذ المساجد والمدارس فى جميع بلاده وقرب إليه العلماء والفقهاء ، وأجزل لهم العطاء .

وحدث أن وفد على منكوفان بن طولى جماعة من أهل قزوين وبلاد الجبل يشكون إليه ما نزل بهم من ضرر على يد الاسماعيلية الذين كانوا قد أخذوا يعيثون فى بلادهم فسادا ، فجهز منكوفان أخاه هولاكو لتأديبهم وتدمير قلاعهم . وفعلا أعد هولاكو جيوشه ، وتوجه نحو ما وراء النهر وقزوين للقضاء على الاسماعيلية ، ثم استأذن من منكوفان أن يمضى أيضاً فى فتح بلاد الخلافة العباسية فأذن له [٢] .

---

(١) ابن خلدون : العبر René Grousset, op . cit ., pp . 320 — 342

(٢) René Grousset, op . cit ., p . 427 .

ولكن قبل أن يدخل هولاكو إيران تصدى له بركة الذى ساءه أن يعتدى هولاكو على الخلافة العباسية وأن يعيث فساداً فى بلاد العالم الإسلامى . واستطاع بركة عن طريق ناظو أن يحول بين هولاكو وبين اجتياز نهر سيحون . غير أنه بعد وفاة ناظو وتولى بركة ملك القفجاق قرر هولاكو أن يمضى فى فتوحاته فى إيران وما والاها لحمل على موافقة الخان بمهاجمة قلاع الإسماعيلية وفتح بغداد . ولكن قبل أن يمضى هولاكو فى التوغل فى إيران قرر القضاء على بركة فتوجه بجيوشه نحو بلاد القفجاق ، غير أنه باء بالفشل ، فرجع إلى ما وراء النهر ، واستأنف هجومه على إيران ، وأخذ يتقدم فيها حتى صار بالقرب من بغداد وأصبح يهدد الخلافة العباسية فى عقر دارها .

ضعف الخلافة العباسية فى بغداد :

كانت الخلافة العباسية قد تدهور مركزها تدهوراً كبيراً (١) فى نظر العالم الإسلامى لاسيما وأنها لم يكن لها دور يذكر فى محاربة الصليبيين فى الغرب فى بلاد الشام أو فى صد المغول فى الشرق حين اجتاحوا خوارزم وخراسان وبلاد الفرس ، وكان من جراء ذلك أن انحطت قيمتها لحساب القوى الإسلامية الصاعدة فى مصر والشام المتمثلة فى الأيوبيين والمماليك الذين تحملوا عبء الدفاع عن الأراضى المقدسة ، واستطاعوا أن يهزموا الصليبيين هزيمة ساحقة عند المنصورة فى سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م)(٢). وبالرغم من أن نشاط الناصر قد زود الخلافة العباسية فى بغداد بشىء من القوة فإن هذه القوة كانت أشبه بصحوة الموت : ذلك أن سياسة الناصر كانت

---

(١) محمد الخضرى : المرجع السابق ص ٤٨٧ — ٥٠٦ .

(٢) دكتور عبد الرحمن زكى : الجيش المصرى فى العصر الاسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة ص ١٧٣ - ٢٣٢ .

تنطوى على كثير من قصر النظر : ففى سبيل مجد شخصى مؤقت وكسب غير مضمون ساعد على القضاء على السلاجقة الذين كانوا سنداً مخلصاً للخلافة العباسية ، ثم تورط فى عداء مستحكم مع دولة خوارزمشاه التى حلت محل السلاجقة مما كان من أثره أن خلع خوارزمشاه اعترافه بالعباسيين وأعلن أحقية العلويين للخلافة .

ومن جهة أخرى أخذ الناصر يتخبط فى سياسته فتبنى تنظيم الفتوة الذين كانوا يتخذون على بن أبى طالب مثلهم الأعلى كما هادن طائفة الإسماعيلية الذين كانوا يثيرون الرعب والخراب فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى كما سبق أن قدمنا .

ومما زاد الطين بلة أنه جاء بعد الناصر على عرش الخلافة ثلاثة خلفاء[1] كانوا يفتقرون إلى عزيمة الناصر ونشاطه : فسلب سلطان الخلافة فى عهدهم وانحصر حكمهم فى بغداد خصوصاً بعد أن استولى المغول على سائر النواحى .

ثم ازدادت الأمور سوءاً فى عهد المستعصم وذلك لتعارض سياسته مع سياسة وزيره الشيعى ابن العلقمى مما أدى إلى قيام الفتن فى بغداد بين أهل السنة والشيعة ، وانتهز المفسدون هذه الفوضى فعاثوا فى بغداد فساداً ، كما حدث عجز كبير فى الأموال : فاضطرت الحكومة إلى تسريح كثير من الجند ، وفرضت مكوساً جديدة على المتاجر والأسواق لتوفير الأموال اللازمة للأرزاق ، وقد أدى هــــذا بدوره إلى أن اضطرب الناس ، وازدادت الفتن : وهكذا بدت بغداد والخلافة العباسية فريسة سهلة أمام المغول .

---

(١) هم الظاهر بأمر الله والمستنصر بالله والمستعصم .

استيلاء هولاكو على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية :

سبقت الإشارة إلى أن هولاكو كان قد استأذن الخان الأعظم منكوقان ابن طولى حين وجهه للقضاء على الإسماعيلية فى المضى فى فتح بالى بلاد الخلافة العباسية فأذن له ، وأنه جدد هذا الإذن بعد موت ناظو ومن ثم اتخذ الأهبة لذلك[١].

ويقال إنه أثناء توجهه إلى الموت حيث يتحصن الاسماعيلية مع رئيسهم بلغه وصية من ابن العلقمى وزير المستعصم ببغداد يستحثه السير إلى بغداد ، ويهون عليه أمرها : وذلك انتقاما منه لما لحق به ولطائفته من الشيعة على يد الخليفة وأهل السنة فى بغداد .

كما يقال أيضاً أن الشيعة من بطانة هولاكو وبخاصة نصير الدين الطوسى حرضوا هولاكو على مهاجمة بغداد ، وقللوا له من شأن الخلافة العباسية ومركزها الدينى ، ونفوا له ما كان يشاع عنها من قداسة وتأييد إلهى .

ويرى البعض أن قدوم هولاكو على فتح بغداد كان من باب انتصاره النصرانية والصليبيين[٢]. ومن المعروف أن زوجة هولاكو كانت نصرانية كما أنه عامل جاثليق النساطرة فى بغداد ، معاملة طيبة ، ثم حاول أن يمكن للنصرانية فى بغداد . وقد جاء ما يشير إلى ذلك فى قصيدة لتقى الدين بن أبى اليسر يصف فيها حال بغداد بعد غزو المغول إذ يقول :

علا الصليب على أعلى منابرها وقام بالأمر من يحـــويه زنار

كما يلاحظ أن هولاكو تآمر بعد القضاء على الخلافة العباسية فى بغداد

---

(١) Grousset, op. cit., p. 420 — 424

(٢) Pelliot, Les Mongols et la Papauté, Revue de l' Orient chrétien, 1924, p. 247 .

مع سرد خار النصرانى متولى الخاقانية على التخلص من بركة عم سرد خار وكان مسلماً كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ثم حارب هولاكو بركة بعد ذلك انتقاما منه لقتله سرد خار ، كما أنه حاول بعد هزيمة المغول أمام المماليك فى عين جالوت فى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) أن يتحالف مع الصليبيين ضد المماليك ولكن بلا جدوى(١).

وربما كانت مهاجمة هولاكو لبغداد تمثل فصلا من فصول الصراع بينه وبين بركة مالك القفجاق أراد من ورائه القضاء على الخلافة العباسية حتى يحطم السند الروحى الذى ربما كان يتقوى به بركة فى صراعه ضد هولاكو.

ومع ذلك فإنه لايمكن بأى حال من الأحوال إغفال أطماع هولاكو فى الفتح والتوسع خصوصا بعد أن اتضح له الضعف الذى انحدرت إليه الخلافة العباسية فى ذلك الوقت .

وما أن فتح هولاكو الرى وأصبهان وهمذان وتتبع قلاع الإسماعيلية حتى أخذ يعد عدته لمهاجمة بغداد ، واستدعى أمراء المغول لجاءه بنجو : مقدم عسكر المغول ببلاد الروم ، ثم تقدم هولاكو نحو بغداد ، وحينما قرب جيش المغول من بغداد تصدى لهم جند الخليفة بقيادة أيبك الدوادار ، ودارت الدائرة أول الأمر على المغول ، ولكن لم يلبثوا أن كروا على الجند العباسى فانهزموا وحاولوا الاحتماء داخل بغداد ، غير أنه اعترض طريقهم أوحال نتجت عن بثوق انبثقت من نهر دجلة فلحق بهم المغول ، وانتهت الموقعة بقتل ايبك ، وأسر من بقى من الأمراء(٢).

---

(١) Grousset, op. cit., p. 430 — 432.

(٢) ابن خلدون : العبر ،

ولما نزل هولاكو بضواحى بغداد فى العاشر من المحرم سنة ٦٥٦ هـ خرج إليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمى فأمنه هولاكو ، كما أعطاه الأمان للمستعصم، ووعده بأنه سيبقيه فى الخلافة كما أبقى صاحب الروم فى سلطنته ولكن حينما خرج المستعصم إلى هولاكو قبض عليه هو ومن معه من الفقهاء والأعيان وقتلهم جميعا ، ويقال إن المستعصم قتل رفساً وشدخاً بالعمد حتى لا يسيل دمه وذلك لاستنكاف هولاكو — كما زعم — من أن تسيل دماء أهل البيت .

ثم دخل المغول بغداد ، وأعملوا فيها القتل والسلب والتخريب عدة أيام ، ولما ضاق الحال بأهل بغداد خرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح فلم يأبه بهم المغول ، وداسوهم حتى ماتوا ، ويقال إن عدة من مات من أهل بغداد فى ذلك اليوم بلغ أكثر من مليون وستمائة ألف . واستولى هولاكو على ما كان فى قصور الخلافة من ذخائر وأموال، وألقى بكتب العلم التى كانت فى خزائنهم فى دجلة ، وتمادى هولاكو فى التدمير والتخريب حتى أنه عزم على إحراق بغداد فلم يوافقه جنده .

وبعد أن انتهى المغول من بغداد اجتاحوا سائر العراق وآسيا الصغرى وبلاد الشام[1] وتقدموا نحو مصر حيث لقوا هزيمة حاسمة على يد قطز فى معركة عين جالوت بالقرب من نابلس فى ١٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)[2] ومن ثم نجت مصر من تدمير المغول ، وحظيت باستمرار تيارها الحضارى دون انقطاع فى تلك الفترة .

---

(١) Hitti, History of Syria, pp. 631 — 634

(٢) دكتور عبد الرحمن زكى : الجيش المصرى فى العصر الإسلامى من عين جالوت إلى رشيد جـ ٢ ص ٦٦ — ٧٧ .

وبفشل هولاكو فى الاستيلاء على مصر والاحتفاظ بالشام قنع بتأسيس دولة فى إيران أورثها أسرته من بعده هى الدولة الإيلخانية .

نتائج غزو المغول :

صحب غزو المغول العالم الإسلامى دمار وتخريب وقتل يتمثل فى حرق المدن ، وذبح الناس صغارا وكبارا والتمثيل بالأعداء ، والتفنن فى التعذيب وقد وصف ابن الأثير هـــذا الغزو بأنه من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التى عقمت الدهور عن مثلها وعمت الخلائق ، وخصت المسلمين فلو قال قائل : إن العالم منذ خلقه الله تعالى لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا : فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها .

وقد نقل إلينا المؤرخون نماذج من أعمالهم الوحشية ، كما صوروا لنا الرعب الذى نزل بالمسلمين حتى شل معظمهم عن الحرب ، ودفعهم إلى الاستسلام للقتل دون مقاومة .

ولقد حاق بالعراق من غزو المغول خسارة فادحة ظلت آثارها باقية ربما إلى الوقت الحاضر . فبقتل المستعصم انتهت من بغداد الخلافة العباسية التى كانت تمثل نظاما تقليديا عريقاً يمتد جذوره إلى صدر الإسلام ، كما فقدت بغداد أهميتها كعاصمة للعالم الإسلامى ، ومن جهة أخرى فإن الوضع الذى آلت إليه بلاد العراق بعد غزو المغول بين دولتين قويتين فى إيران ومصر حولها إلى مناطق حدود بين قوتين متصارعتين مما أدى إلى تعرضها للأعمال الحربية من الجانبين وكان من جراء ذلك أن حاق بها كثير من التخريب ، وتخلخلت إدارتها المدنية ، وأهملت أعمال الرى ، وفسدت أراضى الزراعة ، وأصبحت فريسة سهلة المنال للبدو الذين كثيرا ما توغلوا فيها للنهب والسلب . كما أدى ذلك إلى إهمال طرق العراق التجارية لحساب طرق

التجارة المارة بإيران وآسيا الصغرى فى الشمال وبمصر والبحر الأحمر فى الجنوب ، وقد أثر ذلك على حضارة العراق ومركزه الفكرى والثقافى إذ صار بعد غزو المغول قفرا من الإنتاج الفكرى والفنى الأصيل على عكس ما كان عليه الحال قبل ذلك حين كان العراق مركز الإشعاع الثقافى فى العالم الإسلامى كله بل وفى الخارج أيضاً ، وكان فى الدرجة الأولى من حيث خصوبة الإنتاج الفكرى والفنى وقيمته .

وعلى عكس ما أصاب العراق من تدهور وتأخر نعمت مصر بعصر من الازدهار والتقدم : إذ استطاعت أن تدحر المغول ، وتطردهم من الشام ، وبذلك حافظت على تيارها الحضارى مستمرا دون انقطاع ونجحت فى تصفية الفلول الصليبية المتبقية فى الشام ، وأخضعت الإسماعيلية ، كما عملت على نقل الخلافة العباسية إلى القاهرة[1] مما زاد من نفوذها الروحى بالإضافة إلى قوتها السياسية والحربية ، وهكذا حظيت مصر فى عصر المماليك برخاء مادى وازدهار حضارى وثراء فى مجال الفكر والفن .

ومن جهة أخرى فقد كان من نتائج قدوم هولاكو إلى العالم الإسلامى أن صارت إيران مركز الدولة الإيلخانية المغولية[2] ، واستطاعت أن تستأنف تقدمها الحضارى بعد أن توقفت الحروب المغولية التى لم تستمر طويلا ، ولم يلبث حكامها من المغول أن اعتنقوا الإسلام فى عهد السلطان غازان ، وتمتعت إيران بكثير من الاستقرار والرخاء كان من نتيجته ازدهارها الفنى والثقافى . غير أن العداء الذى استحكم بين حكامها من المغول وبين المماليك فى مصر أدى إلى عزلتها عن العالم العربى .

---

(١) كان ذلك فى عهد السلطان بيبرس .

(٢) Grousset, op. cit., pp. 420 — 465

وبالإضافة إلى ذلك فإن قدوم المغول إلى العالم الإسلامى وما أعقبه من أحداث كان له تأثير غير مباشر على وضع الأتراك فى آسيا الصغرى ذلك أنه فى أثناء الغزو المغولى هاجر كثير من الترك والمغول إلى آسيا الصغرى ، واشتركوا فى الحروب ضد البيزنطيين ، ونجحوا فى تأسيس إمارات توارثوا الحكم فيها وقد خضعت إحدى هذه الإمارات بعد ذلك لقبيلة تركية هى التى صارت تعرف باسم الأتراك العثمانيين الذين قدر لهم أن يقضوا على الدولة البيزنطية وأن يحكموا النصف الغـــربى من العالم الإسلامى ، وأن يستولوا على جزء كبير من شرق أوربا[1].

(١) Colonel Lamouche, op. cit. pp. 9 — 18

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله

تم الطبع بمطبعة جامعة القاهرة
والكتاب الجامعى
المدير العام
البرنس حمودة حسين

رقم الايداع ١٩٩٠/٢٧٩١

الترقيم الدولى ١ – ٠٥٧٠ – ٠٤ – ٩٧٧

(مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٨٩/١٢١٦/١٠٠٠)

